

Lundi-26-2-1934

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم { ٤٢٩٩٢ / ٤٠٥٣٠

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

2 me Année, No. 34

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

العـــدد ٣٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ ذى القعدة سنة ١٣٥٢ — ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

صفحة

أسبوع جول رومان

للدكتور طه حسين

يستطيع هذا الاديب الفرنسى الكبير ان يقول لنفسه منذ الآن ولمواطنيه اذا عاد اليهم بعد أيام انه شغل المثقفين من سكان مصر اسبوعا كاملا بل اكثر من أسبوع ، ويستطيع ان يقول لنفسه ولمواطنيه انه شغل هؤلاء المثقفين من سكان مصر شغلا لذيذا مريحا ممتعا لا ألم فيه ولا جهد ولا عناء ، وانما فيه الحديث الحلو ، والحوار العذب ، والتفكير الخصب ، والاعجاب بمظاهر الجمال الفنى الرفيع وقد يكون مسيو جول رومان من هؤلاء الادباء المتواضعين الذين يسرهم ما يلقون من نجاح فيتحدثون به الى انفسهم والى الناس ، وينعمون به اذا تحدثوا الى انفسهم أو الى الناس . وقد يكون من أصحاب الكبرياء التى تدعو أصحابها الى العجب والتيه والخيلاء فيزدهيهم النجاح ويدفعهم الفوز الى ان يفاخروا ويكاثروا ويستطيلوا على المنافسين ، وقد يكون من أصحاب هذه الكبرياء التى تدفع اصحابها الى ان يستغنوا بأنفسهم عن كل شيء وعن كل انسان . والى ان ينظروا الى الناس فى شيء من الازدراء الرحيم ، فلا يزدهيهم اعجاب الناس بهم ، ولا يسوؤهم اعراض الناس عنهم ، ولا يستخفهم من الناس شيء ، لأنهم لا ينتظرون من الناس شيئا ، وانما ينتظرون من انفسهم

كل شيء ! وأكبر الظن ان جول رومان ليس من هذه الطبقة بين طبقات الادباء ، فقد رأيته شديد العناية بما يكتب عنه فى مصر أو يقال فيه ، ورأيته شديد الحرص على ان يتبين ذلك ويحصيه ويتفهمه . ثم سمعته يتحدث فى بعض محاضراته عما قال هذا الناقد أو ذاك فى هذا الكتاب او ذاك من كتبه التى اذاعها فى الناس ، بل سمعته يتحدث فى بعض محاضراته بأنه اذا اصدر كتابا من الكتب التى يصور فيها حياة الافراد والجماعات كانت عنايته برأى هؤلاء الافراد وهذه الجماعات فى كتابه أشد جدا من عنايته برأى النقاد والزملاء . وقد قص علينا فى ذلك قصصا طريفة ، وكان ظاهر السرور والرضى حين كان يقص علينا هذه القصص لأنها كانت تصور مقدار ما ظفر به من التوفيق إلى رضى الأفراد والجماعات الذين وصفهم فى كتبه وأسفاره . وقد حدثنا بانه يلهو أحيانا بالمقارنة بين ما يكتب اليه القراء وما يكتب عنه الناقدون ، وبما تنتهى اليه هذه المقارنة من بعد النقاد عن الحق والانصاف وتورطهم فى الخطأ والجور ، ومن اصابة القراء لمواضع الصدق وحسن التقدير . واذا لم يكن جول رومان من أصحاب الكبرياء الطاغية المعتصمة بنفسها المتعالية عن الناس ، فليس من شك فى أنه سيغتبط ويبتهج حين يعلم أنه قد شغل المثقفين فى مصر أسبوعا أو أكثر من أسبوع ، ولم يثر فى نفوسهم الا حبا له وإعجابا به وعناية بآثاره ، وجداً فى قراءتها والاستمتاع بما فيها من جمال . نعم وسيبتهج ويغتبط حين يعلم أن المثقفين من أهل مصر قد نظروا إلى هذا الاسبوع الذى أقامه بينهم محاضراً متحدثا كأنه عيد من أعياد الثقافة العليا ، خلصت فيه نفوسهم من أثقال الحياة اليومية وأعبائها وتكاليفها وما تثيره من الخصومات وما تبعثه من الهموم التى تضعف القلوب ، ومن الأحزان التى تميت النفوس ، ومن المشاغل التى تنحط بالعقول عن مكانتها وتبتذلها ابتذالا .

بدىء هذا الأسبوع حين ألقى جول رومان محاضرته الأولى فى مدرسة الليسيه الفرنسية ، وختم حين ألقى محاضرته الأخيرة فى قاعة الجغرافية مساء الخميس الماضى ، وكان فى محاضرته الأولى يتحدث عن وطنه فرنسا ورأى الأفراد والشعوب فيه ، وكان فى محاضرته الأخيرة يتحدث عن نفسه وعن كتابه الأخير ، وعن رأى الناس من مواطنيه ومن غير مواطنيه فيه وفى هذا الكتاب . وكان فيما بين ذلك يتحدث عن العقل وعما أحدث فى حياة الناس السياسية من خير ، وما ينتظر أن يحدث فى مستقبل حياتهم من خير . وكان فيما بين ذلك أيضا يتحدث إلى الجماعات والأفراد أحاديث خاصة فى موضوعات مختلفة من الأدب الفرنسى والأجنبى ، ومن السياسة والفلسفة والاقتصاد . وكانت أحاديثه ومحاضراته كلها متعة عالية ممتازة للذين استمعوا منه وتحدثوا اليه . ذلك ان جول رومان ليس اديبا عاديا من هؤلاء الادباء الذين ينتجون الآثار الادبية القيمة دون ان يمتازوا بأكثر من قدرتهم على الانتاج وبراعتهم فيه ، انما هو أديب ممتاز حقا . ولعل خير ما يميزه من الادباء انه من هؤلاء الافراد القليلين الذين جعلت نفوسهم مرآة صافية شديدة الصفاء . تنعكس فيها صور الحياة التى تحيط بها ، فاذا وصلت اليها استقرت فيها . وما تزال الصور تتبع الصور دون أن يطغى بعضها على بعض أو يفسد بعضها جمال بعض . واذا أنت أمام نفس من أغنى النفوس ، أمام نفس لا تصور فردا ولا بيئة ، انما تصور شعبا كاملا ، وانما تصور خلاصة كاملة لارقى ما تصل اليه الثقافة فى عصر من العصور . فالذين كانوا يسمعون من جول رومان أو يتحدثون اليه انما كانوا يسمعون من العقل الفرنسى كله ، ويتحدثون الى العقل الفرنسى كله ، ولا تظن ان فى هذا النحو من القول غلوا او ميلا الى الاسراف ، انما هو الحق كل الحق ، والاقتصاد كل الاقتصاد . ذلك أن جول رومان لم يكد يبلغ رشده الادبى كما يقول حتى رأى نفسه أكثر من فرد ، ورأى مطمعه الادبى أكثر من مطمع الفرد ، ورأى انه اذا كتب فلن يستطيع ان يكتب كما تعود الناس أن يكتبوا فى هذه الموضوعات المحصورة ، وفى هذه الاطارات الضيقة المحدودة . وانما هو ان كتب فسيصور الجماعات ، وسيصورها فى اطار واسع مخالف لما الف الكتاب ان يتخذوا من الاطارات والحدود . رأى

أنه لا يستطيع أن يتخذ الفرد من حيث هو فرد موضوعا لادبه ، وانما الجماعة هى موضوع هذا الادب ، فهو شاعر الجماعات من نظم الشعر ، وهو واصف الجماعات أن كتب القصص ، وهو مصور الجماعات ان عالج التمثيل . ولم يكد يكتب وهو فى العشرين فى أوائل هذا القرن حتى ظهرت هذه الخصلة فى آثاره ظهورا بينا وفرضت نفسها عليه فرضا ، وأحس هو ذلك وشعر به ، واذا هو ينظم صفته هذه تنظيما ويصوغها صيغة المذهب الادبى ويدعو الى هذا المذهب ويجاهد فى الدعوة اليه ، واذا هو على شبابه صاحب مدرسة لها تلاميذ ولها انصار ، واذا مدرسته لا تلبث أن تتجاوز حدود فرنسا بل حدود اوربا فتكسب الانصار والتلاميذ فى المانيا وانجلترا وامريكا . ثم تتقدم به السن ويمضى فى انتاجه الأدبى شعراً وقصصاً وتمثيلا ، وكلما مضى فى هذا الانتاج زاد امتيازه وضوحا وجلاء ، ولان مذهبه واشتدت مرونته . واذا جول رومان منذ أعوام يفرض نفسه على الأدب الفرنسى ثم على الأدب الحديث فرضا ويصبح من أظهر الممثلين لحياة الأدب الفرنسى فى هذا العصر الذى نعيش فيه . فليس غريبا اذن أن يكون حديثه حديث الشعب الفرنسى المثقف كله ، لأنه قد وعى هذا الشعب كله وصوره واختصر خلاصته كلها فى نفسه ، فهو يتحدث بها وهو يتحدث عنها وهو يصورها فى حديثه أجمل التصوير واروعه وأبلغه تأثيرا فى النفوس . وقد عالج جول رومان من فنون الأدب الشعر وعالج القصص وعالج التمثيل . وكان قبل هذا كله أستاذا للفلسفة . مر بالسوربون طالبا وتخرج من مدرسة المعلمين العليا ، وعلم فى المدارس الثانوية . وليس هنا بالطبع موضع الدرس لشعره وقصصه وتمثيله فذلك شىء لا يتسع له فصل فى صحيفة بل لا تتسع له فصول ، وإنما تتسع له كتب وأسفار

ولكن من الخير أن ندع الآن شعر جول رومان لأنه هو نفسه قد انصرف عن الشعر أو كاد ، وأن نقف وقفة قصيرة عند تمثيله ووقفة أقصر منها عند قصصه وعند كتابه الاخير بنوع خاص . ولعل أظهر ما يمتاز به تمثيل جول رومان أنه أقرب التمثيل الفرنسى الحديث الى تمثيل موليير ، فموضوعاته فرنسية ولكنها من دون إطارها الفرنسى تتجاوز فرنسا وتصبح موضوعات إنسانية عامة لا تقف عند بيئة خاصة ولا عند زمان بعينه ، وإنما تتجاوز الزمان والمكان المعينين الى جميع الازمنة والأمكنة . فقصته الدكتور كنوك ليست نقداً لطبيب بعينه ، ولا لطبيب فرنسى ولا لطبيب فى القرن العشرين وإنما هى نقد للون من ألوان حياة الأطباء فى كل أمة وفى كل عصر وفى كل مكان . ولا يكاد يعرف التمثيل الفرنسى بعد الحرب فوزا كالفوز الذى أدركته هذه القصة التى لا أتردد فى أن أراها آية من آيات التمثيل الحديث .

وقصته التى تسمى مسيو لترودك ، وقصته الأخرى التى تسمى زواج لترودك لا تصفان أستاذا بعينه من أساتذة الجغرافية ، وانما تصفان لونا من حياة الاستاذ الذى تطغى عليه ظروف الحياة فتخرجه عن الدرس الى الحياة العامة وتعرضه لألوان من المحن والخطوب تثير الضحك ولكنه الضحك الذى يثيره موليير ، والذى يمتلىء بالعبر والعظات . وقد هممت أن أسأل جول رومان لماذا اختار لهاتين القصتين بطلا من أساتذة الجغرافية ، دون أساتذة التاريخ أو العلم الطبيعى أو الفلسفة . وأكبر الظن أن هذا الاختيار ليس نتيجة المصادفة ، ومن يدرى لعله كان يضيق باستاذ من أساتذته الذين تعلم عليهم وصف الارض وتقويم البلدان فى المدرسة أو الجامعة . وليس أقدر من جول رومان على تشخيص الجماعات ومحو ما بين أفرادها من الفروق ، وجعلها شخصا واحداً يشعر ويعمل ويتكلم ويصدر فى هذا كله عن نفس واحدة ، والذين يقرأون زواج لترودك يرون أنه وفق فى ذلك الى أقصى حدود الاتقان .

أما كتابه الاخير الذى لم تتفق أمس — وكنا كثيرين — على ترجمة دقيقة لعنوانه ، والذى أسميه كما سماه صديقى هيكل ، الاخيار من الناس ، فاعجوبة القصص الفرنسى فى هذه الايام . أخذ يظهر منذ أعوام . وظهر منه الجزء الخامس والسادس فى هذا العام . والناس يتساءلون كم تكون أجزاؤه ؟ وجول رومان يأبى أن ينبئهم بعدد هذه الاجزاء اشفاقا عليهم وعلى نفسه من السأم والخوف فيما يقول ، وأكبر الظن أنه لا ينبئهم بعدد هذه الاجزاء لأنه هو لا يعرف كم تكون . وقد زعم بعض نقاده فى النوفيل لترير منذ أسابيع أنها قد تنيف على العشرين وتمى

ناقد الطان ان تبلغ الخمسين ،والله يعلم ماذا يتمنى جول رومان . وأكبر الظن أنه لايتمنى الا أن تستقيم له الطريق ،ويمضى القلم فى يده حتى يتم شيئا لا يستبينه هو فى نفسه الى الآن .

وقد حدثنا جول رومان عن كتابه هذا أحاديث ضاق بها توفيق الحكيم ،لأنه لايحب أن يتحدث الكتاب عن أنفسهم وعما يكتبون . ورضيت عنها أنا كل الرضى لأن الكتاب اذا بلغوا منزلة جول رومان كان من حقهم ان يتحدثوا عن أنفسهم . ولست ادرى لم يباح للكتاب ان يتحدثوا عن انفسهم الى عشرات الالوف فى الكتب ، ويكره منهم ان يتحدثوا الى المئات فى قاعة من قاعات المحاضرات ،واحب ان يعلم توفيق الحكيم ،وان يعلم جول رومان أيضا انى لم أومن بكل ماسمعت من هذا الحديث . فالاديب يحدثنا بأنه تصور موضوع كتابه تصورا دقيقا كل الدقة ،محددا من جميع الوجوه ولم يبدأه حتى وضع له برنامجا مفصلا أدق التفصيل ،ولما كان من المستحيل ان يعرض علينا الصورة التى فى نفسه ،او البرنامج الذى رسمه لكتابه على الورق ،فانى اسمح لنفسى بأن اشك فى هذا الحديث . وانما هو خيال يتلهى به الكاتب الاديب ، على حين انه فى حقيقة الامر لايتصور كتابه الا تصورا مجملا تفصله الظروف ، وتفصله المزاولة والكتابة بنوع خاص . ذلك ان موضوع الكتاب ليس من هذه الموضوعات التى يمكن ان ترسم فى دقة وضبط ،فجول رومان يريد ان يصف الجماعة الانسانية ، فحدثنى كيف تستطيع ان تحدد هذه الجماعة او ان تحدد ماتريد ان تصف من أمرها تحديدا دقيقا ،بل ان تصف ذلك بالفعل انما يريد جول رومان أن ينشىء أثرا كالذى انشأه بلزاك أو زولا أو رومان رولان . ولكن من الذى يستطيع ان يقول ان هؤلاء الناس قد رسموا موضوعاتهم رسما دقيقا قبل ان يبدؤا فى كتابتها . انما الشىء القيم الذى تحدث به الينا جول رومان هو مذهبه فى الاستعداد لكتابه ، فهو لايسلك طريق غيره من الذين سبقوه فيحصى ويستقصى ويكتب المذكرات ويجمعها ويرتبها ثم يعود اليها كلما هم بالكتابة فى موضوع من الموضوعات ، وانما هو يحيا فى جميع البيئات التى يريد أن يصورها ،يحيا فيها كما يحيا أهلها ،حتى يصبح واحدا منهم ،ثم يرسل خياله على سجيته فيكتب ،حتى اذا أتم الكتابة عاد الى هذه البيئة فقارن بين الصورة وبين الاصل وانتهى فى أكثر الاحيان الى الرضا عن هذه المقارنة

على أن التصوير الصحيح لمذهب جول رومان فى الاستعداد لهذا الكتاب هو الذى تقرأه فى المقدمة ، فهو تصوير معقول لايتجاوز حدود الممكن المألوف ، وهو فى الوقت نفسه تصوير يبين ما فى هذا الكتاب من الابتكار . فالكتاب لا يدور حول شخص بعينه ولا حول حادثة بعينها ،وانما هو قصص كثيرة مختلفة لبيئات كثيرة متباينة ،تنشأ هذه القصص فى وقت واحد أو فى أوقات متقاربة ثم تمضى كل واحدة منها فى طريقها التى رسمت لها فتلتقى أحيانا وتفترق أحيانا ،وتتوازى أحيانا ،ويضاد بعضها بعضا أحيانا أخرى والله يعلم ولعل جول رومان يعلم أيضاً إلى أين تنتهى وكيف تنتهى آخر الامر

وقد بدأت هذه القصص فى اكتوبر سنة ١٩٠٨ وحدثنا جول رومان انها تنتهى فى سنة ١٩٣٣ الا أن يطرأ ما يغير هذا الميعاد . فالكتاب اذن محاولة جديدة لوصف الجماعة الانسانية وصفا قصصيا رائعا فى ربع قرن ،وتريد أن تعلم بالطبع هل وفق جول رومان إلى ما أراد ،وتريد أن تعلم مقدار ما فى هذا الكتاب من روعة وجمال . فالذى أستطيع أن أقوله هو أن كتابا آخر لم يظفر بمثل ما ظفر به هذا الكتاب من الاعجاب بعد كتاب مرسيل بروست فى هذا العصر الذى نعيش فيه . فاذا اردت أن تتبين جماله وروعته فالسبيل الى ذلك ان تقرأه ،وانا واثق بانك لن تأسف على ما تنفق فى قراءته من الوقت أو الجهد.

طه حسين

صندوق الكتاكيت

للاستاذ أحمد أمين

كان أمس ، من أيام الشتاء المشهودة : ريح صِرّ ، وليل قرّ ، حتى خَصِرت اليد ، وقفقفت الأسنان ، ويبست الأطراف ، وتجلّى « أمشير » بأجلى ما وسم به من هَوَج ورَعَن . حتى لو كان طفلا لسال لعابه ، أو رجلا لسقطت عنه التكاليف .

ثم انجلى الليل عن صبح بديع : سماء صافية ، وشمس مشرقة ، حاولت أن آتى لها بتشبيه جديد ، فكانت الشمس فى السماء أجمل من كل تشبيه قديم وحديث .

غادرت حجرتى الى حديقتي الصغيرة المتواضعة فوجدت خادمى قد سبقت ، فاخرجت صندوق الكتاكيت الى الشمس لينعم ما فيه بحرارتها ودفئها ـ وقع عليه نظرى ؛ وصادف ذلك منى تفكيرا فى موضوع للرسالة .

شعرت إذ ذاك بشخصيتين من نفسى تتناظران مناظرة عجيبة عنيفة أسجلها للقراء :

لم لا يكون (صندوق الكتاكيت) موضوعا طريفا ؟

إنه موضوع تافه لا يليق بأستاذ فى جامعة ، ولا بمدرس ، ولا بمساعد مدرس ـ إن الجامعيين وأمثالهم يجب أن تكون موضوعاتهم فى أعلى السماء ، أو أعمق الأرض ، ويجب أن تصبغ بصبغة ميتافيزيقية ، ويكون فيها الجوهر والعرض ، والكمية والكيفية ، والانّيّة والعلية . أما صندوق الكتاكيت فموضوع يثير الهزؤ والسخرية ، ويستخرج من النفس عاطفة الازدراء والاحتقار .

ليس ذلك بصحيح ، فكل شىء فى الحياة موضوع أدب ، وخير الأدب ما مس الحياة الواقعية ، واستخرج من تافه الأشياء فكرة بديعة ، أو رأياً طريفاً . لقد قال تعالى « إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما ، بعوضة فما فوقها » ، والكتكوت خير من البعوضة من جميع الوجوه ، فالبعوضة منبع ألم ، والكتكوت منبع لذة ـ والبعوضة إذا كبرت كانت أقوى على اللذع وأقدر على الايلام ، بنفسها وبمنتجاتها ، والكتكوت اذا كبر كان دجاجة أو ديكا ، يسيل لعاب الانسان اذا تصوره على مائدة أنيقة ، أو تخيله وقد أنضجه طاه ماهر .

وضرب الله الذباب مثلا فقال تعالى « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعُفَ الطالب والمطلوب » وأين الذباب من الكتكوت ؟ وقد سميت فى القرآن الكريم سور منه بالبقرة والنحل والنمل والعنكبوت .

وقرأت لأديب كبير لا أذكره الآن مقالا بديعاً فى زنبار أراد أن يخرج من شباك فاصطدم بزجاجه ، وحاول مراراً أن يخرج فلم يستطع ، فاستخرج الكاتب من ذلك قطعة فنية طريفة فى الحرية والاسترقاق ، وكيف يبحث الزنبار عن حريته فلا يجدها ، ثم هو لا ينساها مهما صادفه من عقبات ، وتحمل من آلام .

وكتب فيكتور هوجو قصة طريفة عن برغوث أنقذ أمة من الأمم سلط عليها حاكم ظالم لم تستطع حمله على العدل ولا إبعاده عن الحكم .

وبعد هذا وذاك كتب مستشرق كبير معاصر كتاباً جمع فيه ما قيل من الأدب العربى فى « البراغيث » واقترح عليه مستشرق آخر أن يسمى الكتاب « صيحة المستغيث من البراغيث » الى ما لا يعد ولا يحصى .

إذن فنظرتك فى اختيار الموضوع وأنه يجب أن يكون « أكاديمياً » ، وأن يعنون عنواناً ضخماً يستعمل فى اختياره كل ضروب التكلف والتعمق والفلسفة ، نظرة أرستقراطية بغيضة يجب أن تتخلص منها وتهزأ بما جرى عليه العرف فيها .

على هذا النحو ظلت الشخصيتان تتناظران ، وظللت أصغى

اليهما وأقيد أفكارها ، الى أن طال الاخذ والرد ، وأشفقت على القراء من استرسالهما فى الجدل ، وحاولت أن أبتعد عن الصندوق ، وأهرب من الموضوع فلم أستطع .

أيها الكتكوت افيك كل معانى الحياة ومشا كلها ومظاهرها .

فاسمك - أولا - كتكوت ويجمع على كتاكيت ، ولم أدر من أين أتى لك بهذا الاسم ، فقد راجعت القاموس المحيط ولسان العرب ، وغيرهما من كتب اللغة ، فلم أجد فيها هذا اللفظ للدلالة عليك ، ولا يستعمله الا أهل مصر . أما أهل الشام والعراق فلا يعرفونه - أتعمدت اللغة إهمالك لحقارتك ؟ ذلك ما لا أظن ، لأنى أعلم أن اللغة ديمقراطية تعنى بالجليل والحقير على السواء ، بل اللغة العربية مفرطة فى الديمقراطية فقد وضعت لأتفه الأشياء أسماء تعد بالمئات ، واحتقرت أشياء عظيمة فلم تضع لها اسما للآن كالراديو والبيانو ومئات من المخترعات الحديثة ، بل هم وضعوا لك اسما آخر هو « الفرخ » ولكن الفرخ غير مقصور عليك ، شاركك فيه كل صغار الطيور حتى استعملوه أحيانا فى صغار الشجر والنبات ، على انهم وضعوا لك اسم (الفروج) فلم يطلقوه على غيرك من صغار الحيوان ولكنهم أشركوا معك فيه نوعاً من الأقبية وأمثالها ولعل العامة كانوا أنصف لك فوضعوا لك اسما خاصاً ، ومن أولى بالتخصص منك ؟

ولكن - مع كل هذا - لا أدرى من أين أتى اسمك « الكتكوت » فسأتركك لعلماء اللغة والاشتقاق ومقارنة اللغات ، من سريانية وآرامية وفارسية وعبرية ، لعلهم يجدون لك أصلا - وعلى كل حال فقد أثبت أن فيك مشكلة من مشكلة الحياة العظمى ، وهى مشكلة اللغة ، وستثبت مشكلة أخرى أعظم من هذا وأعقد . فهب أن علماء اللغة استنكروا هذه الكلمة فأين سلطانهم على لفظك الذى تداولته العامة ونطقت به قرونا .

فهل اذا صدر قرار بمحو هذه الكلمة لأنها ليست عربية يسمع ويطاع . على أى وجه من الوجوه أنت مشكلة حتى فى اسمك

هذه هى الخادم قد رمت الحب للكتاكيت ، فلا تسأل عما كان بينهما من خصام ونزاع ، ومباراة وسباق وضرب وطعان

وهل الانسان الا هذا - وهل تاريخ حياته الا نزاع وصراع ، وقد عبروا عن ذلك أصدق تعبير فقالوا ، ان الحياة جهاد - أوليس أكبر باب فى كتب التاريخ هو تاريخ الحروب والفتوح ، واعلان الحرب ، ومعاهدات الصلح . وكل الفرق بينك ايها الكتكوت وبين الانسان أنك استعملت فى جهادك ونزاعك منقارك الوديع ، وجسمك اللين الغض وجاء الانسان الراقى ، فاستعمل فى الحصول على غذائه الكذب والخديعة والرياء والنفاق ، واستعمل فى مدافعة خصومه كل طرق الكيد والدهاء ، واستخدمت الجماعات فى حربها كل أنواع المدمرات والمهلكات - وقد أعطى الانسان عقلا أرقى من عقلك لينظم عيشه فأفسده ، ولينظم السلم فنظم الحرب ، وليعاون أخاه فعاداه .

- أيها الصندوق !

فيك تنازع البقاء وبقاء الاصلح ، فيك استكانة الضعيف وغلبة القوى ، فيك الضعيف يكره العراك ، وفيك القوى يصول ويجول ، ويدعو الى النزال - فيك الجمال وفيك القبح - استأنست ايها الكتكوت بالانسان صغيرا ، ثم علمتك التجارب ففررت منه كبيرا .

وكنت مادة صالحة للغذاء كما كنت مادة صالحة للادب ، فمن قديم استعيرت منك الاستعارات اللطيفة ، والاينات الجميلة ، فقد قال الشاعر

أرى فتنة هاجت وباضت وفرّختْ

ولو تُرِكَتْ طارت اليها فراخها

وفى حديث عمر . ياأهل الشام تجهزوا لأهل العراق فان الشيطان قد باض فيهم وفرخ

ثم قالت العامة « الكتكوت الفصيح من البيضة يصيح »

وأخيرا ، فيك سر الحياة الغامض - كيف دبت الحياة فيك

يوم كنت بيضة، وكيف تطورت جنينا، وكيف نبض قلبك لأول مرة، وكيف خرجت الى هذا الوجود، وكيف تموت ولم خرجت، ولم تموت؟. لو أفصحت لنا عن كل هذه الاسرار لكشفت سر الوجود، ولما كان هناك مجال لفلسفة ولا حكمة ولكنك أعجزت الفلاسفة، اذ كتمت سرك بين جناحيك فهامت الفلاسفة على وجوهها، وارتبكت فى تفكيرها.

إذن فيك أيها الصندوق الصغير، كل ما فى العالم الكبير، من معانى الحياة وغوامضها وأسرارها، وفيك كل مظاهر الانسان على تبجحه وغروره ـ وفيك ماحير العقول قرونا، وأجهد الفكر أجيالا ـ وهل العالم الا لغز، لو حل جزؤه لحل كله.

أحمد أمين

صفحة من تاريخ افغانستان المعاصر

لمناسبة حوادثها الاخيرة

للاستاذ محمد عبد الله عنان

فى الثامن من نوفمبر الماضى سقط نادر شاه ملك أفغانستان السابق قتيلا برصاص طالب أفغانى فى احدى حدائق كابول اثناء حفلة رياضية كان يشهدها الملك القتيل، فخسرت أفغانستان بذهابه أميرا قويا حازما لبث مدى أربعة أعوام يشرف على مضايرها ويعمل لتنظيم شئونها وتوطيد سلامها فى ظروف عصيبة. وكانت أفغانستان قبل ان يتبوأ عرشها نادر خان قد اضطرمت باحدى هذه الثورات القومية التى يتميز بها تاريخها منذ اواخر القرن الماضى، والتى تدفع بها دائما الى فترة من الفوضى الخطرة، وتجعل من عرشها مثار معارك طاحنة بين الزعماء والمتغلبين، ومن استقلالها هدفا تعمل السياسة الاجنبية ما استطاعت للنيل منه؛ وكان عرشها بعد أن غادره الملك السابق أمان الله فى صيف سنة ١٩٢٩ فرارا من نقمة شعبه قد تداوله اثنان فى بضعة أشهر، أولهما عناية الله أخو أمان الله الأكبر، والثانى حبيب الله أو باشا سقا الزعيم الثائر: وكانت أفغانستان تمزقها الحرب الاهليـة حينما جاء اليها نادر خان وزير الحربية السابق فى أواخر سنة ١٩٢٩ من مقامه فى أوربا، وانتزع كابول من يد الثائر وقبض عليه وأعدمه، ثم نادى بنفسه ملكا، واستطاع فى أشهر قلائل أن يقمع الفوضى وأن يعيد الى أفغانستان نوعا من السكينة والاستقرار.

ولم يكن مقتل نادر شاه (نادر خان) مفاجأة ولا حادثا غير عادى فى تاريخ أفغانستان الحديث؛ فعرش أفغانستان يرتجف دائما فوق بركان من المنافسة الدموية؛ وقد قتل فى الفترة الأخيرة من ملوك أفغانستان عدة، أولهم حبيب الله خان الذى قتل سنة ١٩١٩. ولو لم يبادر الملك السابق أمان الله بالفرار لكان نصيبه هذا المصير الدموى. بيد أن هذا العرش الخطر مافتىء يغرى زعماء القبائل والاسر الأفغانية؛ ونخشى أن تعود هذه المعركة الخالدة على العرش فتضطرم غير بعيد فى أفغانستان، وان كان الامير الفتى ظاهر شاه ولد نادر شاه قد جلس على العرش غداة مقتل أبيه، واتخذت فى الحال كل أهبة لاخماد كل نزعة للخروج والثورة. فقد كان نادر شاه يحكم أفغانستان مدى الأعوام الاربعة الماضية بقوة وذكاء، ولكنه لم يستطع رغم عزمه وحزمه أن يخمد كل عوامل الانتقاض والفوضى التى تضطرم بها أفغانستان منذ أواخر عهد الملك أمان الله؛ وقد نشبت فى عهده غير ثورة أخمدت دائما فى سيل من الدماء، ومازال الملك السابق أمان الله يتربص فرص العودة الى عرشه؛ وما زالت تؤازره فى أفغانستان بقية من أنصاره؛ هذا الى أن القبائل الافغانية القوية فى الشرق والشمال الشرقى مازالت تعيش فى نوع من الاستقلال الاقطاعى، وتتردد بين تأييد العرش والخروج عليه حسبما تملى عليها مصالحها أو حسبما توجهها المؤثرات الاجنبية فى كثير من الاحيان.

والحقيقة أن أفغانستان تجد نفسها منذ نحو قرن فى مركز حربى وسياسى يكاد يحرم عليها الحياة الهادئة. فهى تقع بين الهند البريطانية من الشرق، وبين التركستان الروسية من الشمال، وتكون بذلك ملتقى الجذب بين سياستين استعماريتين قويتين تتنازعان السيادة والنفوذ فى أواسط آسيا، وتلتقيان دائما فى ذلك الاقليم الجبلى الوعر، الذى يحد نفوذهما ويفصل بين أراضيهما، اعنى أفغانستان. والشعب الافغانى لا يتجاوز أربعة ملايين جلهم من القبائل الجبلية، ولكنه شعب قوى بخلاله الطبيعية

ونزعته العسكرية يعتصم دائماً بهضابه الوعرة ، ويحرص على استقلاله أيما حرص . واذا كان تجاذب السياستين البريطانية والروسية يعرض افغانستان بين آن وآخر الى تيار النفوذ الأجنبي ، فان أفغانستان من جهة أخرى تتخذ من هذا التجاذب أداة لتدعيم استقلالها ، وتجعل منه دائماً وسيلة لاقامة التوازن بين السياستين المتنافستين . بيد أن السياسة البريطانية التي تقدر أهمية افغانستان في حماية حدود الهند الشمالية الغربية من الغزو الروسي ، تحرص دائما على أن تكون راجحة النفوذ والكلمة ، ولا تتردد في تأييد هــذا التفوق في السهر على مصاير أفغانستان بالقوة القاهرة . وأفغانستان تعرف أنها لا تستطيع أن تتخلص من هذا النفوذ دون أن تعرض استقلالها للخطر ؛ وقد أنست هــذا الخطر في تاريخها الحديث غير مرة إذ غزتها الجيوش الانجليزية في سنة ١٨٣٨ ، ثم في سنة ١٨٧٨ ؛ وعرض استقلالها للضياع في المرتين . وما زالت السياسة البريطانية الى يومنا تقوم بدورها التاريخي في السهر على توجه شئون أفغانستان وتطوراتها .

ونستطيع ان نرجع من مرحلة التاريخ الافغاني المعاصر الى اواخر القرن الماضي ، أو الى عهد الامير عبد الرحمن خان الذي تولى العرش عقب تطورات الحرب الافغانية الانكليزية الثانية ، سنة ١٨٨٤ ؛ فقد استطاع هذا الامير القوي لاول مرة أن يحطم سلطة القبائل الاقطاعية ، وان يخضعها لصولة العرش ، واستطاع أن ينشيء لافغانستان جيشا نظاميا حسنا ، وان ينظم الضرائب والموارد العامة ؛ وتمتعت افغانستان في عهده بعهد طويل من السكينة والاستقرار في ظل ادارة قومية صارمة . ثم توفي عبد الرحمن سنة ١٩٠١ وخلفه على العرش ولده حبيب الله خان . واستطاعت السياسة البريطانية في تلك الفترة ان توطد نفوذها في افغانستان ؛ وكان حبيب الله برغم حرصه على استقلال افغانستان الداخلي ، يصانع السياسة البريطانية ويتقي اثارتها مااستطاع ؛ وفي عهده بلغ النفوذ البريطاني ذروته في توجيه سياسة افغانستان الخارجية ، ولاسيا في علائقها مع روسيا القيصرية ، وتضاءل النفوذ الروسي الى أعظم حد . ولما نشبت الحرب الكبرى حافظ حبيب الله على صداقته مع بريطانيا العظمى ، وقاوم كل مسعى بذلته المانيا لتحريض افغانستان على نقض هذه الصداقة . ثم توفي قتيلا في أوائل سنة ١٩١٩ ، فخلفه اخوه نصر الله ؛ ولكن ثورة نشبت بقيادة امان الله ثالث اولاد حبيب الله انتهت بعزله . وتبوأ أمان الله العرش في ربيع هذا العام . وهنا كان تطور حاسم في تيار النفوذ الخارجي ؛ وانتهزت روسيا السوفيتية هذه الفرصة لتسترد نفوذها الذاهب ، فعاونت امان الله على انتزاع العرش من عمه ، واستعملت كل وسيلة لمقاومة النفوذ الانكليزي والقضاء عليه ؛ وذهب امان الله في خصومته للانكليز الى حد أنه دفع بجنده الى اجتياز الحدود الهندية ، ولكن الانكليز ردوها في الحال وعبروا الحدود الافغانية الى « دكا » ، وأرغموا امان الله على عقد الصلح ، ولكن بشرط أن تعترف انكلترا باستقلال افغانستان (اغسطس سنة ١٩١٩) .

وكانت روسيا من وراء أمان الله تؤيده وتوجه خططه ؛ وكانت انكلترا من جانبها تقدر هذا العامل الجديد في تطور حوادث افغانستان ، وتتحاشى الاصطدام بروسيا السوفيتية ، وتعمل لاتقاء دسائسها ما استطاعت ، وأفغانستان من جانبها تجني ثمرة هــذا النضال بين الدولتين الخصيمتين . بيد أن السياسة البريطانية لم تعدم وسيلة للاتفاق مع امان الله ؛ ففي سنة ١٩٢١ عقدت في كابول معاهدة انكليزية افغانية جديدة ، تعترف انكلترا فيها باستقلال افغانستان الخارجي والداخلي ؛ وتعترف افغانستان فيها بالحدود الهندية الافغانية القائمة ؛ وتنص على تبادل التمثيل السياسي والقنصلي ؛ وتخول لافغانستان الحق في ان تستورد من انكلترا ما يلزمها من الاسلحة والذخائر معفاة من الرسوم . وفي سنة ١٩٢٣ عقدت بين الدولتين معاهدة تجارية . ومع أن العلائق بين انكلترا وأفغانستان لبثت عادية ودية ، فان النفوذ الانكليزي لم يعد الى سابق تمكنه واستئثاره ، واستمر النفوذ الروسي متفوقا في افغانستان مدى حين .

وقضت افغانستان فترة من الاستقرار والسكينة ، توطدت فيها شئونها الداخلية وعلاقتها الخارجية . وفي سنة ١٩٢٧ قرر الملك امان الله أن يقوم مع زوجته الملكة ثريا برحلة رسمية في بعض الدول الاوربية ؛ فغادرا أفغانستان في شتاء هذا العام ، ومرا في طريقهما بمصر ، وانفقا فيها بضعة أسابيع ، واستقبلا اينما حلا بمنتهى الاكرام والحفاوة ؛ ثم سافرا الى أوربا وزارا ايطاليا وفرنسا وانكلترا والمانيا ، وتسابقت الدول في الاحتفاء بهما واغداق الهدايا عليهما ، كما تسابقت في التقرب الى امان الله ومحاولة الحصول منه على بعض المزايا السياسية والتجارية ، ولكن امان الله لم يتورط في التعاقد واكتفى ببذل الوعود . ثم غادر المانيا الى روسيا ، واستقبله

حلفاؤه البلاشفة أعظم استقبال ، وعقدت اثناء مقامه بموسكو معاهدة افغانية روسية تجارية جديدة . وأبدى امان الله اثناء رحلته اهتماما عظيما بمظاهر الحضارة الغربية ، ولم يخف اثناء تجواله نيته فى الاقتباس منها لبلاده باعظم قدر ، والعمل على تجديد افغانستان ودفعها الى طريق الحضارة الغربية باسرع مايستطاع ، ولم تخف زوجته الملكة ثريا نيتها فى العمل على تعليم المرأة الافغانية وتحريرها ، وكان لهما فى ذلك تصريحات رنانة مازلنا نذكرها .. واستمرت الصحف الاوربية مدى حين تفيض فى رحلة الملك الشرقى وفى اخباره وأعماله وأقواله ، وفى برنامجه الاصلاحى ، وفى أحوال أفغانستان وشئونها وأهميتها الحربية والسياسية . بيد أنه لوحظ منذ قصد أمان الله الى موسكو فتور الصحافة الغربية فى الحديث عنه ؛ ولوحظ بنوع خاص أن الصحف البريطانية أخذت تحمل على سياسته ، وتنتقد زيارته لموسكو وتورطه فى محالفة البلاشفة . ولم يكن حديث الصحف البريطانية عبثا ، وانما كان دلالة اتجاه جديد فى السياسة البريطانية كما سنرى .

عاد امان الله الى افغانستان بعد أن زار تركيا وفارس ، وعقد مع كل منهما معاهدة صداقة ، وتأثر ايما تأثر بما رأى فى تركيا من مظاهر التجديد الاوربى . ولم يضع وقتا فى تنفيذ برنامجه الاصلاحى ؛ وكان برنامجا شاملا تناول نظم الحكم ، كما تناول كل نواحى الحياة القومية . فاما فى نظم الحكم فقد ألغى أمان مجلس الحكم القديم الذى يضم زعماء الدين ومشايخ القبائل بمجلس تمثيلى يؤلف بالانتخاب ، وأدخل نظام الوزارة الحديث ، والغى سلطات الاشراف وزعماء الدين ، وفرض الضرائب العامة المنظمة والخدمة العسكرية الاجبارية على كل أفغانى . وكان أمان الله فى الناحية الاجتماعية أشد جرأة واندفاعا وقد خيل له أنه يستطيع بقوة التشريع العاجل أن يخلق من افغانستان العصور الوسطى ، أمة جديدة تتمتع بمظاهر التمدن الحديث . وكانت زوجه الملكة ثريا ، وهى امرأة سورية لاتفهم روح الشعب الذى رفعت الى عرشه ، تدفعه فى ذلك الطريق بعنف ، فاصدر طائفة من القوانين الاجتماعية الجديدة ترمى الى تحرير المرأة وسفورها ، والغاء تعدد الزوجات ، ورفع سن الزواج ، والزام الافغانيين بلبس القبعة والثياب الاوربية على نحو مافعل مصطفى كمال بالترك ، وأرسل الى أوربا بعوثا من الشبان والفتيات ليتعلموا فى معاهدها . وكان الشعب الافغانى يشهد هذا الانقلاب فى دهشة وروعة ولا يكاد يصدق أنه المقصود بهذه الاجراءات ، وفى افغانستان أمة قديمة تغلب فيها البداوة ، ولم تخرج بعد من غمر القرون الوسطى ، وللتقاليد الدينية والاجتماعية فيها ايما هيبة ورسوخ ، فوقعت هذه السياسة الجريئة فى الشعب الافغانى وقع الصاعقة ، وثار سخطه لهذا الاجتراء على تقاليد القرون ، وقابل زعماء الدين والقبائل تلك المحاولة لسحق سلطانهم القديم بمنتهى الانكار والمقاومة ، ولم تمض أشهر قلائل حتى سرى ضرام الثورة الى ذلك الشعب المضطرم المتأهب ابداً للثورة وتحطيم أية سلطة مطلقة تحاول ارغامه على مالا يرضى .

نشبت الثورة بسرعة لأسباب وعوامل لم تتضح تماما . ولا ريب أن تطرف الملك أمان الله فى تطبيق برنامجه الاصلاحى كان عاملا هاما فى نشوبها بين القبائل الاقطاعية القوية التى أدركت خطر السياسة الجديدة على نفوذها واستقلالها المحلى ، ولكنه لم يكن كل شىء ، فقد نشبت الثورة بادىء بدىء فى الولايات الشرقية المجاورة للسند ، ولاسيما منطقة جلال أباد ، وهى منطقة يسود فيها النفوذ البريطانى ؛ ثم امتدت بسرعة مدهشة برغم ما بذله أمان الله لحصرها واخمادها . وقد كانت السياسة البريطانية تأخذ دائما على أمان الله تأثره بنفوذ السوفييت ومحالفته إياهم ، وترى فى زيارته لموسكو وتقوية صلاته بالسوفييت تحديا لا تحمد عواقبه . وللسياسة البريطانية دائما أثرها فى تطورات أفغانستان الحاسمة ، والمرجح انها لم تكن بعيدة عن ذلك الانفجار الذى فوجىء به أمان الله ؛ وكان خطراً على عرشه وشخصه . وقد استطاع أمان الله أن يهزم الثوار بادىء بدء ، واعتقد مدى لحظة أنه سيد الموقف ، ولكن الحوادث تفاقمت بسرعة وامتدت الثورة إلى الجيش ؛ وزحف الثوار على العاصمة الأفغانية ، فبعث الملك بزوجه وأسرته إلى قندهار ، وفر الأجانب من كابول على متن طيارات بريطانية أرسلت من الهند ، وحاول أمان الله عبثا أن يهدىء الثورة بالغاء القوانين الجديدة التى أصدرها ، فلما رأى أنه فقد كل أمل فى الاحتفاظ بعرشه وسلطانه ، نزل عن العرش لأخيه الأكبر عناية الله ، وفر إلى قندهار لاحقا بزوجه ، ولكن الملك الجديد ألفى نفسه فى مأزق صعب ، ولم يجرؤ على مواجهة الحوادث ، فغادر بدوره ذلك العرش الخطر وفر ناجيا بنفسه ، ودخل الزعيم الثائر باشه السقا كابول ظافراً ، وتربع على العرش باسم حبيب الله . (أوائل سنة ١٩٢٩)

من هم اخوان الصفا؟

للأستاذ أديب عباسي

أصل التسمية — نشأة الجمعية — طبقاتها — تأثيرها — رأي الناس فيها — رسائل الاخوان اجمالا

قد أظهر كولدزهير ان « أخا الصفا » تعنى - حسب الاصطلاح العربي - ذلك الذى صفت نفسه وخلصت سريرته فحسب - كقولك : يا أخا المروءة ويا أخا العرب ، وهكذا لا تكون لعبارة « اخوان الصفا » أية دلالة أو نسبة إلى أخوية من الاخويات على نحو ما يفهم من الاخوية حسب الاصطلاح الحديث . على أن « دى فو » فى كتابه (Les pensurs de l'Islam) يتساءل هل لهذا الاسم علاقة بكلمة فيلسوف كما ترد فى اصطلاح الفيثاغوريين ويقول : ان كلمة « أخ » تقابل الشطر الأول من لفظ « الفلسفة » (فيلو) وكلمة « صفا » تقابل معنى ومبنى الشطر الثانى منها (صوفى) وعليه يكون معنى الاسم محبى الحكمة .

هذا عرض موجز لرأيين مختلفين فى أصل تسمية الاخوان هذا الاسم لمستشرقين غربيين . وثم رأى آخر لاخوان الصفا أنفسهم فى أصل هذه التسمية لانعتقد أن باحثا من الباحثين فطن اليه أو تنبه له ؛ فقد جاء فى الجزء الرابع من رسائل الاخوان (ص ٣٧٣) ما يأتى : —

ولما رأى أمان الله تطور الحوادث على هذا النحو عاد فاسترد تنازله ، وجمع فلوله وحاول السير إلى كابول ، ووقعت بينه وبين خصومه معارك عديدة انتهت بهزيمته ؛ فانسحب من الميدان أخيراً وفر مع زوجه وأسرته فى مايو سنة ١٩٢٩ عن طريق الهند ، ثم جاز إلى أوربا منفياً طريداً ، واستقر برومه ، يرقب مجرى الحوادث فى أفغانستان ، ونسمع صوته كلما اضطرمت أفغانستان بحادث جديد . وكان آخر العهد بتصريحاته فى أوائل نوفمبر الماضى ، حينما قتل المرحوم نادر شاه ، فقد صرح يومئذ لبعض الصحف الكبرى أنه لا يتأخر عن العودة إلى أفغانستان ، وتبوىء العرش إذا دعاه الشعب الأفغانى ؛ ولكن الشعب الأفغانى لم يقم بمثل هذه الدعوة ، وقد تبوأ ظاهر شاه ولد الملك القتيل العرش غداة مقتل أبيه .

لها بقية

محمد عبد الله عنان

« وانما سمينا رسالتنا هذه رسالة السحر ليستدل اخواننا على الأسرار الخفية وليكونوا اذا بلغوا معالى العلوم ذوى غنى عن الحاجة إلى من سواهم فى جميع ما يحتاجون اليه من أمر معيشة الدنيا . فاذا وصلوا إلى هذه المرتبة صح لنا أن نسميهم باخوان الصفا . واعلم يا أخى ان حقيقة هذا الاسم هى الخاصة الموجودة فى المستحقين له بالحقيقة لا على طريق المجاز » . ويقولون أيضا (ج ٤ : ص ٣٧٣ — ٧٤) : —

« واعلم يا أخى أنه لا سبيل إلى صفا النفس إلا بعد بلوغها إلى حد الطمأنينة فى الدين والدنيا جميعا . وهو أن يعرف الانسان بحسب قدرته توحيد الله جل جلاله . . . وبعد ذلك ما يكون به صلاح معيشة الدنيا والغناء فيها عن الحاجة إلى من عدم هذه الصناعة . ومن لا يكون كذلك فليس هو من أهل الصفا . لانه لو كان من أهل الصفا لكان بصفائه عمن دونه الغناء » .

لنا من جميع ما تقدم إن « إخوان الصفا » كما يعرفون أنفسهم - هم هؤلاء الذين حـذقوا علوم الدين والدنيا معاً واستغنوا بها عن الحاجة إلى من سواهم

وأخيرا نود ان نشير الى رأى أورده المستشرق كرلو نلينو فى كتابه « علم الفلك عند العرب فى القرون الوسطى » يفسر فيه معنى هذه التسمية بالرجوع الى عبارة وردت فى أول باب « الحمامة المطوقة » من كليلة ودمنة . على اننا لدى رجوعنا الى القطعة التى يشير اليها المؤلف فى رسائل الأخوان (أنظر الجزء الأول من الرسائل : ص ٥٣) لم يتبين لنا ان حادثة الحمامة المطوقة كما وردت فى كتاب كليلة ودمنة هى أصل التسمية . وذلك أن اخوان الصفا كعادتهم فى التمثيل لكل فكرة - قد أوردوا هذه القصة لبيان فائدة التعاون فحسب . بيد أنه قد يكون فى غير الموقع الذى يشير اليه المؤلف من الرسائل مايقوى هذا الرأى ، ولكن المؤلف لا يشير الا الى ماتقدم

***

هذا وقد قامت جمعية اخوان الصفا حوالى سنة ٣٧٣ هـ ، وكان مركزها العام مدينة البصرة (١) وقد ذكر المؤرخون خمسة بالاسم

---

(١) انفرد ابن تيمية ، دون باقى المؤرخين الذين وقفنا عليهم ، بذكر أن رسائل اخوان الصفا صنفت قريبا من بناء القاهرة (بغية المرتاد ص ٩ ٥) فاذا صح هذا الزعم فأنه يرجح ان يكون مركز هذه الجمعية القاهرة ، لا البصرة . وتكون جمعية البصرة فرعا منها .

من أعضاء هذه الجمعية وهم : ابو سليمان محمد بن مشعر البيستي ويعرف (بالمقدسي) ، وابو الحسن علي بن هارون الزنجاني وابو أحمد المهرجاني والعوفي وزيد بن رفاعة .

وكانت جماعة الأخوان تتألف من اربع طبقات : الطبقة الأولى وتتألف من الاحداث الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والثلاثين . ويفرض على افراد هذه الطبقة الطاعة التامة واسلاس القياد لرؤسائهم ومعلميهم . والطبقة الثانية تتراوح اعمار افرادها بين الثلاثين والاربعين . ويسمح لهؤلاء بالاطلاع على العلوم الدنيوية دون العلوم الدينية . ثم الطبقة الثالثة واعمار الداخليها تقع بين الاربعين والخمسين . وهؤلاء يسمح لهم بالاطلاع على شرائع العالم المقدسة ، أما الطبقة الرابعة فأعضاؤها يكونون ممن اربت سنهم على الخمسين . ويسمح لهم في هذه الطبقة بالوقوف على سر الأشياء الصحيح والنفوذ الى لباب المسائل كما يتسنى ذلك للملائكة . غير انه ليس لدينا ما يثبت ان اخوان الصفا راعوا هذه التقسمة مراعاة دقيقة ، فلم يسمحوا لهذه الطبقات ان يتداخل بعضها ببعض

وقد اوجب القائمون بانشاء هذه الجمعية ان يكون لأخوان الصفا ، حيث كانوا من البلاد مجلس خاص يجتمعون فيه في أوقات معلومة لايداخلهم فيه غيرهم ، يتذكرون فيه علومهم ويتحاورون اسرارهم ، كذلك اوجبوا ان تكون مذاكراتهم - على قدر ما يستطيعون في علم النفس والحاس والمحسوس والنظر في الكتب الألهية والعلوم الرياضية وهي العدد والهندسة والتنجيم والتاليف (يقصد تأليف النسب الموسيقية)

وكانوا يحتاطون ما امكنهم الاحتياط في ختيار الأعضاء الجدد . فلم يكن يسمح لأحد بالدخول في هذه الجمعية الا اذا كان ناصع الصحيفة لاغبار على أخلاقه ولاريبة في سلوكه ، وكانت اجتماعاتهم تعقد سرا في بيت رئيسهم زيد بن رفاعة .

أما غاية أخوان الصفا فيلخصها ابو حيان التوحيدي بقوله : -

« وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة ، وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهبا زعموا انهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله . . وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال »

هذا هو ظاهر الغرض من تأليف هذه الجمعية والدعاية لها ولكننا نعتقد ان وراء هذا الغرض اغراضا أخرى نحن مبينوها فيما بعد في فصل خاص

أما تأثير هذه الجمعية فقد اقتصر بوجه عام على العامة . وأشباه العامة . والظاهر أن أخوان الصفا لم يكونوا يطمعون في أكثر من ذلك . وهم - لذلك - قد وضعوا رسائلهم بلغة بسيطة سهلة بعيدة عن الاعتياص والغموض اللذين يرافقان عادة الكتابات الفلسفية ، ومما توسلوا به لتقريب مذهبهم الى افهام الجمهور اكثارهم من ضرب الأمثال وسرد الحكايات . فكان ذلك كله مقرونا الى بساطة التعبير وجلاء العبارة ، داعيا الى تهافت العامة على دراستها وانجاء ذلك بعد حين من تأليفها . أما الطبقات الراقية فلم تر في هذه الرسائل مايروي الغلة أو يملأ الفراغ الذي كانت تحسه النفوس الى الفلسفة في جميع فروعها آنئذ ، واليك ما يصفها به أحد المعاصرين وهو أبو سليمان المنطقي قال : -

« وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية والامثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق المموهة . وهي مبثوثة من كل فن بلا اشباع ولا كفاية . وفيها خرافات وتلفيقات ، فنصبوا وما أغنوا ، وغنوا وما أطربوا ، ونسجوا فهلهلوا ، ومشطوا ففلفلوا . وبالجملة فهي مقالات مشوقات غير مستقصاة ولا ظاهرة الأدلة والاحتجاج »

(تاريخ مختصر الدول لأبي الفرج ص : ٣٠٩)

ورأي الغزالي في هذه الرسائل لايخرج عن معنى ماتقدم (١) فهو يقول : -

« . . . فلو فتحنا هذا الباب وتطرقنا الى أن يهجر كل حق سبق اليه خاطر مبطل للزمنا أن نهجر كثيراً من الحق ، وللزمنا أن نهجر كثيراً من آيات القرآن . . . لأن صاحب كتاب اخوان الصفا أوردها في كتابه مستشهداً بها ومستدرجا قلوب الحمق بواسطتها الى باطله (المنقذ من الضلال ص ٢٧)

من هنا لانرى مايراه (لان پول) من أن هذه الرسائل كانت تمثل الفلسفة العربية حين ألفت أصدق تمثيل ، فأن كتابا يكتب بلغة شبيهة بالعامية وللعامة ، ويصفه أبو سليمان المنطقي والغزالي بما وصفاه ، لايمكن أن يكون ممثلا للفلسفة العربية في ذلك العصر

ورسائل اخوان الصفا هذه تبلغ واحدة وخمسين رسالة عدا الرسالة الجامعة . والشك يحوم حول مؤلفيها . فمن قائل أنها من

(١) — يقول دي بور : ان الغزالي الذي كانت آيته التشكك في كل شيء لم يحجم أن يقتبس من اخوان الصفا مايرى اقتباسه . فهو مدين لهم باكثر مما يود أن يعترف

تأليف جعفر الصادق ، ومن قائل أنها من كلام بعض متكلمى المعتزلة ، ولكن السائد اليوم هو أن كتابات زيد بن رفاعة كانت نواة هذه الرسائل . والأربعة الذين يذكرون معه كانوا يساعدونه فى التأليف وانضاج الرأى . وقد كان لتأليف الرسائل على هذا النحو من التعاون أثر كبير فى اسلوبها واختلاف قيم اجزائها ، فهى فى مواطن قوية الفن غزيرة المادة ، وفى مواطن اخرى مهلهلة الأسلوب سطحية المباحث . وهذا التباين الملحوظ فى مرادهذه الرسائل يثبت لنا ان مؤلفيها كانوا على تفاوت فى ثقافتهم

على ان من هذه الرسائل ماانفرد بكتابته شخص واحد من هذه الجماعة دون غيره . ومن هذه الرسائل رسالة الحيوان . فاطراد الافكار وتسلسل المعانى ، ووحدة السياق التى تلحظ فى هذه الرسالة يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأنها لكاتب فذ منهم . وهذه الرسالة فى رأينا – هى أقوى هذه الرسائل واعلاها نفسا وأسدها منطقا ، وقد عرضت هذا الرأى على الأب انسطاس الكرملى منذ سنوات فجاءنى منه حينها مايلى :–

« رسالة الحيوان هى – كما تقول – لكاتب واحد منهم اقواهم عبارة واصفاهم فكرا واحسنهم منطقا . لكن الظاهر ان بعض الأخوان نظروا فيها واحكموا تنسيقها ، واظهروا فيها حذقهم ، وحضرة الأب – على ماأفهمى – يدرس رسائل أخوان الصفا منذ سنة ١٩١٧

ولعل الغرض الخاص الذى ألفت من أجله هذه الرسالة كان انتقاد المجتمع اذ ذاك على لسان الحيوان كما فعل بعض أدباء الغرب فى عصور التضييق على الحريات الفكرية . فأخوان الصفا فى هذه الرسالة ينطقون الحيوان بمالايستطيعون الجهر به من عبارات كلها تقريع للحكام ورجال الدين والقضاء فى ذلك العصر (انظر ص ١٥٤–٥٥، ٢٣٣–٣٤)

أما المصادر التى استقى منها إخوان الصفا فهى عديدة ومتنوعة ، وذلك انه لم يكن يمنعهم عن النقل من أى مذهب أو دين أو فلسفة مانع ، كانوا يرون أن فى كل مذهب أو دين أو فلسفة قسطا من الحقيقة ؛ وإذن ليس ثمة مانع من الانتفاع به أقصى ما يمكن الانتفاع . وعلى هذا المبدأ بنى فلسفتهم الانتخابية . ففى هذه الرسائل من الافلاطونية الحديثة ، وفيها من الفيثاغورثية ، وفيها من مذهب وحدة الكون (البانثيزم) وفيها من أفلاطون وأرسطو ، وفيها من الديانات الهندية والزردشتية واليهودية والمسيحية .

شرق الاردن — أديب عباسي

حجاج الخضرى

للاستاذ محمد فريد أبو حديد

قد تكلم المتكلمون فى وصف أهل مصر فأكثروا فى وصفهم من المبالغات ، وذهبوا فى التعميم مذاهب مختلفة . فمنهم من أغرق فى المدح حتى لم يترك فضيلة الا وصفهم بها ، وهؤلاء قد غاب عنهم من وجه الحق مثـــل ما غاب عن الفريق الآخر الذى أغرق فى الذم والتجريح . وقد تناول أفاضل كتاب الرسالة هـذا المعنى فضربوا فيه بسهم

ولعمرى أنه لم يخطىء كاتب خطأ كتاب العربية قديمـا اذا هم تناولوا قوماً بالوصف ، فانهم إذا وقعت أنظارهم على جماعـــة أو عاشروا فئة من الناس وصفوها وصفا يخيل إلى من يسمعه أو يقرؤه أنه وصف شامل لكل أهل البلد ، أو أنه سمة ثابتة لكل الجنس ، فى حين أنهم انما كانوا يصفون من اتفق لهم الامتزاج به أو من ألقتهم الظروف فى سبيلهم .

إن العالم الذى يحاول وصف الشعوب إنمـا يصل إلى حكمه على مميزات الشعب بعد أن يدقق فى بحثه ويفحص من أفراد الجنس عدداً يستطيع بعد فحصه أن يقول بحق إنه قد عرف نسبة محترمة من أفراد ذلك الجنس ، فاذا ما قال إنه رأى فى ذلك الجنس صفة لازمة يشترك فيها الافراد جميعاً أو أغلبهم كان ذلك الحكم جديراً بالوثوق والتصديق . وشعب مصر إذا ذكره الذاكرون انمـا يعنى به شعب تلك الأرض الممتدة من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، وليس من السهل على أحد أن يصف مثل ذلك الشعب بوصف شامل يعم أفراده جميعا ، أو يصدق على أغلبهم . فأمثال ابن خلدون والمقريزى ممن وصفوا أهل مصر إنمـا يصفون من رأوه من أهل الدولة أو من الأعيان أو من أهـل العلم ، وهؤلاء ان صدقت عليهم كلمة أو شملهم وصف لم يصح أن يكون وصفهم وصفا للأمة جميعها .. بل إن وصفهم لا يصح أن يكون وصفا لبعض الأمة فضلا عن كلها . وذلك لان أغلب أهل هـذه الطبقة فى مصر لم يكن فى تلك العصور من جرثومة البلاد وأبناء شعبها الصميمين ، بل كانوا أخلاطا من مشرق الارض

وغيرها. قد اجتمعوا فيها بين مجندين فى جيشها أو غالبين على حكومتها أو مقربين فى بلاط حكامها الاجانب ، أو علماء يجمعهم الاسلام من كل الامصار والأقطار فى صدره الرحب السمح .

ولقد أهمل مؤرخو مصر ذكر ابناء البلاد الصميمين اهمالا يكاد يكون ازدراء لهم واحتقارا لشأنهم ، إذ زعموا أن مهمة المؤرخ محصورة فى حدود رجال الدولة وأهل الحكم ومن يلحق بهم أو يطيف بأبوابهم من رجال الدين والعلم . غير أنا نجد بين حين وحين اسما من اسماء الدهماء والعامة يذكره المؤرخ عفوا ، وهو ادل فى نظرنا على صفة أهل مصر من تلك الأعلام العالية والاسماء الضخمة التى ملأ قدماء المؤرخين كتبهم بوصفها ، وبنوا عليها أحكامهم لان تلك الاسماء المشهورة لم تكن فى أغلب الاحوال من أهل مصر وان كانت من أهل مصر ، فهى غير جديرة بأن تتخذها أساسا للحكم على اهل مصر . وانى ذاكر هنا اسما من هذه الاسماء المتواضعة لعلى أبين من وصفه ان شعب مصر الحقيق كان فيه رجال ، وان البطولة كانت تسرى فى عروق عامته الذين لم يحظوا بتخليد التاريخ .

كان من أهل مصر فى اول القرن التاسع عشر رجلا متواضع الصناعة اسمه حجاج . وقد كانت صناعته بيع الخضر فكان اسمه يذكر دائما مع اسم صناعته ، فكان الجبرتى رحمه الله يذكره اذا ذكره باسم (حجاج الخضرى)

وكان العصر الذى فيه حجاج عصرا فذا فى تاريخ مصر منذ عهد الفتح العربى الاول . فقد اعتاد أهل مصر منذ قرون طويلة ان يتركوا أمر السياسة والحكم والحرب لمن غلب على البلاد من الدول أو من الجماعات وتمادوا فى ذلك الاعتياد حتى صارت عقيدتهم أن الحكم واجب على غيرهم ، وان واجبهم الابتعاد عنه وعما يستلزمه من نضال ومغامرة . غير ان غزوة الفرنسيين هزت البلاد هزة عنيفة تصدعت لها العقائد الثابتة . فاذا بأهل مصر يرون الجنود الاجنبية تطرد جنود السلطان الذين اعتادوا الخضوع لحكمه ، وتشتت شمل المماليك الذين قضوا الاحقاب يتصرفون فى أمور البلاد تصرفا مطلقا ، فأصبحوا وجها لوجه أمام حالة جديدة لا تدعمها عقائدهم الاولى ولا عاداتهم الموروثة .

وبدأت روح أهل مصر تتنفس ، وبدأت حواسهم تتنبه ، فاذا بهم يثورون على الفرنسيين فى شوارع القاهرة وأزقتها مرتين فى مدى سنتين ، واذاهم يلقون اعداءهم المسلحين وهم لايحملون الا الهراوى والحجارة ، ويحتمون منهم وراء متاريسهم وخنادقهم يقيمونها فى عرض الطرق وعند مداخل الميادين . وكان حجاج الخضرى من زعماء تلك الثورة الشعبية وأبطالها ، فميز نفسه بقوة الجسم ورباطة الجأش وثبات الجنان ، حتى صار أبناء البلد ينظرون اليه نظرهم الى القائد المحبوب الموثوق به ، يهرعون اليه عند الكوارث ويصرخون باسمه عند الهيعات . ثم خرج جيش الفرنسيين وعاد الحكم الى السلطان وولاته ، ولكن مصر شهدت عقب ذلك أشد تطاحن على الحكم والسلطة بين الزعماء والهيئات ، حتى انتهى الامر بتطلع مؤسس الدولة العلوية المجيدة الى الملك .

انتهت فى هذه الاثناء زعامة الشعب المصرى المتنبه الى الزعيم الجليل السيد عمر مكرم ، وهو الصديق الحميم لمحمد على باشا ، وكان حجاج هذا من صفوة أعوانه وأشجع جنوده ، فعندما تخاذلت جنود الاتراك عن نصر محمد على باشا فى نضاله مع منافسيه قام السيد عمر مع أهل مصر الصميمين بحصار القلعة حتى اضطروا القائد المنافس الى التسليم ، وكانوا لايرجون من جهادهم ذاك مالا ولا عطاء ، بل كانوا يرابطون ويحاصرون ويحاربون من أجل الوطن وحده . وكان حجاج الخضرى أظهر الزعماء الشعبيين فى هذا الموطن . قال الجبرتى فى يومياته :

« فأرسل (أى السيد عمر مكرم) الى من بالنواحى والجهات وأيقظهم وحذرهم فاستعدوا وانتظروا وراقبوا النواحى ، فنظروا الى ناحية القرافة فرأوا الجمال التى تحمل الذخيرة الواصلة من على باشا الى القلعة ، ومعها أنفار من الخدم والعسكر وعدتهم ستون جملا ، فخرج عليهم حجاج الخضرى ومن معه من أهالى الرميلة فضربوهم وحاربوهم وأخذوا منهم تلك الجمال »

واستمر نضال حجاج على رأس هؤلاء الجنود المصريين الخلص حتى تم الامر بانتصارهم وتولية محمد على باشا على مصر ، وجاء فرمان السلطان مقرا بالأمر الواقع ، وعند ذلك خرج موكب النصر المصرى وعلى رأسه قواده المظفرون : وقال الجبرتى فى وصف ذلك :

« اجتمع الناس ، وطوائف العامة ، وخرجوا من آخر الليل ، وهم بالاسلحة والعدد والطبول الى خارج باب النصر . . . . وكثير من الفقهاء العاملين رؤوس العصب ، واهالى بولاق ومصر القديمة والنواحى والجهات ... وكبيرهم حجاج الخضرى وبيده سيف مسلول

و كذلك ابن شمعة شيخ الجزارين وخلافه ، ومعهم طبول وزمور والمدافع . . . الى ان وصلوا الى الازبكية فنزلوا بيت محمد على باشا ، وحضر المشايخ والاعيان وقرأوا المرسوم » . وبذلك تم انتصار الشعب ، واخذ يتطلع الى الحكم والسياسة . وما كان ذلك ليرضى الجنود الاتراك الذين تعودوا ان يكونوا سادة غير منازعين . فلما انتهى النضال الكبير بدأ التنافس والتنازع بين أهل مصر وبين الجنود . وكان حجاج يمثل ذلك التنازع والتنافس . قال الجبرتى فى بعض يومياته بعد ذلك « ووقع بين حجاج الخضرى والعسكر مقاتلة جهة طيلون وقتل بينهم اشخاص ، فرأى أهل الحكم أن يعودوا بذلك الشعب الى هدوئه الأول ، وسكينته القديمة ، فبدأوا ينزعون منه السلاح بعد أن انقضت الحاجة الى حمله . فغضب الناس لذلك حينا ، غير انهم أرغموا على الاذعان فأذعنوا . ولكن نفس حجاج الخضرى لم تذعن بتلك السهولة بل قاوم وناضل وكابر . قال الجبرتى فى وصف ذلك .

« وفيه بنى حجاج الخضرى حائطا وبوابة على الرميلة عند عرصات الغلة » ولكن ايستطيع فرد أن يقاوم دولة ولو كان من بناتها ؟ لا ، فان حجاجا لم يستطع الا الهروب من القاهرة التى جال فيها تلك الجولات ، ولجأ الى جيش الالفى بك ، وكان عند ذلك مرابطا بجيشه يترقب الغرر ، ويتحين الفرص ، جاثما طورا عند إطفيح بالصعيد ومرة عند دمنهور بالبحيرة .

غير ان المقام لم يطب لذلك البطل المصرى فى جيش الالفى بك وكيف يطيب له المقام ، وهو ابن البلد الصميم ، يقيم بين جيش من المماليك يشمخون عليه بأنوفهم ، وهو المعتز بكرامته الذى يرى نفسه مثيلا وكفؤا لهم ؟ قال الجبرتى فى وصف ذلك :

« وفيه أيضا حضر حجاج الخضرى الرميلاتى الى مصر ، وقد كان خرج من مصر بعد حادثة خورشيد باشا خوفا من العسكر وذهب الى بلده بالمنوات . ثم ذهب عند الالفى ، وأقام فى معسكره الى هذا الوقت ، ثم ان الالفى طرده لنكتة حصلت منه ، فرجع الى بلده ، وأرسل الى السيد عمر مكرم فكتب له أمانا من الباشا ، فحضر بذلك الأمان وقابل الباشا وخلع عليه ونادوا له فى خطته بأنه على ماهو عليه فى حرفته وصناعته ووجاهته بين اقرانه » .

غير أن نفسه لم تكن لترضى بعد ذلك بالبقاء فى صفوف العامة الذين قضى عليهم أن يعودوا إلى انزوائهم واكتفائهم بالعيش العادى ، فاختفى مرة أخرى من القاهرة ، ولا ندرى بعد ذلك له مقراً . أقتله الجنود انتقاما من كبريائه ؟ أهرب إلى وطن غير مصر ؟ لسنا ندرى غير ما قاله الجبرتى « وفيه اختفى حجاج الخضرى أيضا بسبب ما داخله من الوهم والخوف من العسكر » . اللهم ان فى صفوف الابطال أفذاذاً لم يسمهم التاريخ ولم تعهم ذاكرة الأحفاد ليؤدوا اليهم ما يستحقون من الاجلال . . . ولئن كان حجاج الخضرى أحد هؤلاء ، فقد حفظ لنا المؤرخ المصرى اسمه فى عرض حديثه ، وهو يمر به مروراً سريعا . غير أنى أتجه الى ذكراه بقلب خاشع مملوء دعوات الترحم ، وتتردد فيه أسمى عواطف الاجلال والتبجيل .

ألا يستطيع مصرى أن يقول عند قراءة سيرة حجاج إن فى المصرى أنفة وعزة ؟ وإن له نخوة وسطوة ؟ وإن بين جنبيه همة وقوة . . . ؟

محمد فريد أبو حديد

والبيئـــة أيضا . . .

أما لهذا الليل من آخر . . . ؟

للدكتور محمد عوض محمد

من الموضوعات التى لابد أن تمر بنا جميعا ـ الموازنة بين الوراثة والبيئة . هذا الموضوع بمثابة المطية الذلول التى لا يتحرج أضعف الناس وأصغرهم من أن يمتطيها . ثم يخيل إليه الوهم أنه أضحى فارسا من كبار الفرسان ! ولقد طالما نشاهد صغار الناشئين وقد جلسوا على المنابر . ووقف هذا لينتصر للوراثة ويراها كل شىء . وذاك لينتصر للبيئة ويدعى لها كل شىء ، وقد لا يكون للمتكلمين بعد إلمام صحيح بمعنى الوراثة او البيئة .

ولا بأس بهذه الأشياء ، ما دام يراد بها العبث البرىء ، وتمرين الطلاب على الحوار . ولكن كلام الاحداث فيما يجهلونه قد يغدو ـ وياللاسف ـ عادة تلازمهم مدى الحياة . وقل أن يوجد بين الموضوعات مايتطلب الدقة فى الفهم ، والتأنى فى الحكم كموضوع الوراثة والبيئة .

فأما الوراثة فيراد بها مايرثه الناس عن آبائهم وأجدادهم من الصفات التى اختصت بها سلالتهم التى ينتمون اليها . فتأثير الوراثة هو تأثير الجنس والسلالة . والقائلون بالوراثة يزعمون ان هذا الشعب راق لانه من جنس راق ، والآخر منحط لان جنسه منحط .

وأما البيئة فهى ماينشأ بينه الانسان من أرض وسماء ، وهواء وماء ، وجبال وأنهار ، وصحارى وبحار ومااليها . ولهذه فى نظر القائلين بالبيئة الاثر الاكبر فى رفع قوم وخفض قوم ، واعزاز شعب واذلال آخر .

ولقد حاولت فى كلمة سابقة ان أضرب بعض أمثلة للضلال الذى يخبط فيه كثير من الناس حين يتكلمون عن الاجناس فى غير تدبر ولاحذر . وهممت ان أكتب كلمة ثانية لأضرب أمثلة أخرى للضلال الذى يخبط فيه الناس حين يتكلمون عن تأثير البيئة ثم جاءت كلمة الاستاذ حسن جلال فحفزتنى إلى المضى فى هذا السبيل

ان فى شرائع كثير من الدول ما يضمن مجازاة من يمارس الطب اذا لم يكن من أهل الطب ، ولكن ليس فى الشرائع – وياللاسف – ما يكفل معاقبة من يمارس التاريخ وليست له دراية بالتاريخ ، أو يمارس الجغرافيا وليس له كبير المام بالجغرافيا ، وهكذا الحال فى كثير من فروع العلم . فاستطاع ان يقتحم هذه الميادين من ليست لديه العدة اللازمة لها

وهكذا رأينا اناسا يحكمون بين الاجناس ويرفعون جنسا على جنس ، وسلالة فوق سلالة ، دون أن يأخذوا العدة لمثل هذا الحكم بدراسة الشعوب والاجناس فى كل مكان وفى كل زمن (١)

كذلك ما ينبغى لأحد أن يحكم فى تأثير البيئة : فى تأثير الهواء والماء والارض والسماء فى أخلاق الناس وطباعهم ، الا اذا درس كل بيئة على سطح الأرض ، وقارن بين المتشابه وغير المتشابه ، ووازن بين المتفق والمختلف ، بحيث يستطيع أن يدرك ما اذا كانت البيئات المتشابهة قد أكسبت أهلها خلالا متشابهة . وأن هذا التشابه سببه طبيعة الاقليم لاأى سبب آخر قد يكون خافيا .

ومع هذا فان الذين صناعتهم دراسة البيئات الطبيعية هم عادة أزهد الناس فى اصدار تلك الأحكام القاسية الشاملة كأن يقال مثلا : إن سكان هذه البلاد جبناء لأن أرضهم سهلة منبسطة !

وسكان ذاك القطر بخلاء لأن بلادهم جبلية ! وأهل هذا الاقليم بلهاء لأن هواءهم حار رطب : وأولئك كذابون حانثون لان مناخهم متقلب لايستقر على حال .

ان هذه الآراء لها للأسف صورة خلابة تسترعى الذهن وتلفت النظر . وفى عالم سكانه لايلذلهم اجهاد الفكر وانعام النظر فيما يلقى اليهم من الكلام – كثيرا ماتسير تلك الأحكام وتشتهر بين الناس وترسخ ز[illegible] . . . . وقد لايكون فى بعض هذه الأحكام ضرر كبير . ولكن الخطب المؤلم ماذكره الاستاذ حسن جلال من أن أناسا يقال لهم أنتم اذلة لأن هواء بلادكم يقضى بهذا ، وقد كتب عليكم الذل سرمدا الى يوم القيامة ، فيصدقون مايقال لهم ويؤمنون به . مع انه ليس فى العالم أمة إلا ويصح أن يقال لها مثل هذا الكلام فى وقت من الأوقات .

* * *

كتب أحد الجغرافيين الامريكان ، واسمه إلسورث هنتجتن يصف تأثير الهواء فى الناس فقال : إن المناخ الذى يلائم حياة الانسان أكثر من سواه ، ويساعد على النشاط والجد والرقى فى سلم الحضارة هو مناخ بلاد اليابان (فى الجزء الجنوبى منها) . وبعض جهات الجزر البريطانية . ثم تكون ملاءمة كل إقليم آخر للانسان بقدر مابينه وبين هذه الجهات من المشابهة .

هذا ماذكره ذلك الكاتب الجغرافى العصرى ، ومن المفيد أن نقارن هذا الحكم بما ذكره ابن خلدون فى مقدمته عن الاقاليم السبعة (٢) وملاءمتها للانسان . وقد ذهب هذا الكاتب الاجتماعى العربى الى أن الأقليم الرابع هو أطيب الاقاليم جميعا ، وأكثرها ملاءمة للعمران ، وسكانه أرقى حضارة من سكان سائر الأقاليم . أما مايليه شمالا وجنوبا فدونه منزلة ، وما يلى ذلك أقل صلاحا نظراً لشدة الحرارة أو لشدة البرودة . .

والاقليم الرابع الذى عناه ابن خلدون هو الواقع بين دائرتى العرض الثلاثين والاربعين .. وفيه الاندلس وبلاد المغرب وايطاليا

---

(١) ذكرنا فى العدد الماضى الرأي الذي ذهب اليه بعض الكتاب فى تفضيل الجنس التيوتونى على سائر السلالات . وكان من المصادفات الطيبة أن ألقى الأستاذ بيرين فى الجمعية الجغرافية ثلاث محاضرات عن حالة أوربا بعد سقوط الدولة الرومانية وجاء فى كلامه أن بلاد الشرق الأدنى مثل سوريا ومصر كانت تبعث الى أوربا سلعا ثمينة مثل الحرير وورق البردى وفى مقابل هذه السلع كانت أوربا ترسل عبيداً وإماء من أبناء وبنات هذه الأجناس الشمالية بالذات . فهذه السلالات التي يدعى لها اليوم التفوق على سائر الأجناس كانت من الهوان بحيث تباع بيع السلع

(٢) فى عرف الجغرافيين القدماء تبدأ الأقاليم من خط الاستواء الى درجة العرض السبعين شمالا . فمن خط الاستواء الى درجة عشرة الاقليم الأول ؛ ومن الدرجة العاشرة الى العشرين الثاني ، ومن العشرين الى الثلاثين الثالث . ومن الثلاثين الى الأربعين الرابع . وهكذا الى السابع الذي ينتهى عند درجة العرض السبعين وليس وراءها عمران . كما أنه ليس وراء خط الاستواء من جهة الجنوب عمران .

ومصر وسوريا والعراق وإيران . وقد ذكر ابن خلدون صراحة أن الاقليم السادس قليل العمران . وهواؤه لا يبعث على الحضارة . مع ذلك في هذا الاقليم السادس بالذات يقع معظم بريطانيا العظمى علام يدل هذا كله ؟

إنه يدل دلالة صريحة على أن كلا الكاتبين لم يبن حكمه على فهم صحيح لطبيعة الهواء وتأثيره في العمران . بل كل مافعله أن نظر الى العالم الذى يعيش فيه ؛ والى الأفكار المختلفة التى نالت فى عصره حظا وافراً من الحضارة . وحكم بأن هواءها أحسن الأهوية ، وأقليمها أطيب الأقاليم . رأى ابن خلدون أن العمران فى عصره واقع فى بلاد كلها فى الاقليم الرابع ، فحكم بأنه أكثر الاقاليم ملاءمة ؛ ورأى هنتجتون أن انكلترة واليابان فى مقدمة دول العالم اليوم فحكم بأن هواء انكلترة خير هواء . ومتى أتيح للأقطار الاستوائية - أن تنهض قريبا أو بعيداً ، فسيرى الناس ابن خلدون آخر ينادى بكل جرأة أن الأقطار الاستوائية ، المغضوب عليها فى الوقت الحاضر - هى أبدع وأزهى وأزهر الأقاليم ذات الحضارة والعمران .

ومن غريب أحكام ابن خلدون ماذكره فى حكمه على أهل السودان بأنهم موصوفون بالخفة وكثرة الطرب وحبهم للضحك بسبب حرارة الهواء ، ولو بقى ابن خلدون الى وقتنا هذا لأدهشه أن يعلم أن من أكثر الناس خفة وضحكا الاسكيمو سكان الجهات القطبية !

وشبيه بهذا ماذكره المقريزى فى حكمه على أهل مصر مما ذكره الاستاذ أحمد أمين : من أن البيئة المصرية قد أثرت تأثيراً سيئا فى كل ما بمصر من إنسان وحيوان . ومما ظنه حجة علينا أن الأسد لا يعيش فى مصر . وهذا صحيح . ولو كان الأسد فى مصر يوما من الأيام لكان العمران وحده كفيلا بابادته والقضاء عليه كما أبيد التمساح من نيل مصر . ولكن من يخبر المقريزى رحمه الله بأن بلاد الانكليز ليس فيها أسد ، وليس فيها من الوحوش الضارية سوى الانسان . وكذلك الحال فى الجزء المتمدن من أمريكا وفى معظم أوربا ؟

تلك العبارة البادية السخف هى من فصل طويل للمقريزى . مملوء بالعبارات الكثيرة فى ذم مصر وهوائها ومائها وأهلها وفى ذم اخلاقهم وأجسامهم وطبائعهم . . وكلها عبارات لا تزيد قوة على العبارة السالفة .

ولقد يجوز لكاتب أن ينقد أخلاق المصريين وأن يرميهم بصفات الضعف إن شاء ، أو الجبن أو الانهماك فى الشهوات . ولكن ليس لأحد أن يرجع شيئا من هذا الى طبيعة الأرض أو الماء أو الحرارة . فيضل ويضل . وأولى بهؤلاء القضاة أن يبدأوا بدراسة كل اقليم وطبيعة كل بلد من بلدان العالم . إذن لعلموا أن كثيراً مما يتهم به أصل مصر - صدقا أو كذبا - شائع فاش فى أقاليم تختلف عن مصر كل الاختلاف ، وهنالك أقاليم لا يقل هواؤها حرارة عن هواء مصر ، وأرضها سهلة كأرض مصر ، تعيش فيها شعوب لا يشك أحد اليوم فى رقيها وتفوقها .

***

ومن الأمثلة الشائعة فى تأثير البيئة مايقال من أن المناظر الطبيعية تخلق الشعراء وتوحى بالشعر والموسيقى . وقد زار أحد كتاب الامريكان بلدة ستراتفورد حيث ولد شكسبير ، فصور له الخيال الجامح أن مثل هذه البيئة - والتى ليس لها فى الواقع ما يميزها - هى الجديرة بأن توحى الى رجل مثل شكسبير تلك الدرامات الخالدة ، والقصائد الرائعة .. ولولا جهل هذا الأمريكانى لعلم أن شكسبير لم يقض فى هذا الأقليم غير زمن الحداثة . ولم يكتب فيه شيئا بل قضى معظم حياته فى لندرة تلك البلدة المظلمة التى لا يمكن أن توحى من تلقاء نفسها بشىء جميل .

واذا سلمنا بأن المناظر الطبيعية الجميلة تثير الخيال وتبعث الشعر فى النفوس ، فاننا سنلاقى من غير شك صعوبة عظيمة فى تعليل تلك الظاهرة الغريبة وهى قلة نبوغ الشعراء الفحول فى سويسرة التى لا يضاهيها فى أوروبا بلد فى أنهارها الجارية ، وجبالها الشامخة ، ومناظرها الرائعة .

أليست الحقيقة اننا نتورط كثيراً ، ونندفع فى الاستدلال والاستنتاج ، ونقضى بأحكام شاملة واسعة من غير حذر ولا تدبر ، بل وأحيانا من غير فهم لما نريد الخوض فيه ؟!

من الثقافة العربية القديمة

النـــار

عقد الجاحظ فصولا ممتعة على النيران ، فى نهاية الكتاب الرابع وبدء الخامس من الحيوان ، ذكر فيها نيران العرب والعجم ، فحدث أخبارها ، وأبدى آثارها وأشعارها

وإنا نتكلم الآن عن النار ونشوئها ، فنورد قول طائفتين تختصمان فيها جمعناه من شتات ، واختصرناه بعد افاضة .

النار

النار اسم للحر والضياء ، فاذا قالوا أحرقت أو سخنت فانما الاحراق أو التسخين هو للحر ، دون الضياء .

والحر جوهر صعاد كالضياء ، وانما يختلفان فى الصعود لاختلاف جوهرهما ، والضياء أحث صعودا لا يعلى . ألم تر الى النار اذا أطفأناها من أتون وجدنا أرضه وهواءه وما يلابسه حاراً ، ولم نجده مضيئا .

مستقر النار ونشوؤها :

النار التى تقدح من عودين أو حجرين أين تستقر ؟ أهى فى العودين كامنـة تبرز بالقدح فهى من عناصر العود أو الحجر ؟ أم تتراءى أنها خرجت منهما ، والحق أنها ليست فيهما ، بل تحدث من غير العود والحجر عند قدحهما - كلا الرأيين له فرقة تميل اليه وتؤيده بكل وسعها واليك أقوالهما :

- نظرية الكمون :

يرى فريق أن النار كامنـة فى الحطب والحجر وغيره لأنها أحد عناصره ، ويمنعها من الظهور البرد المضاد للحر والمكافىء له . فان نحن قوينا النار الكامنة إما بنار أخرى خارجية أو بتوهين البرد المـانع كحك العودين اللذين يضعف البرد فيهما - ظهرت النار الكامنة ، وتغلبت على البرد ونفته .

فالنار التى نراها هى نار العود تسعرت بعد كمونها ، وانتصرت على مكافئتها . واعلم أن « احراقك للثوب والحطب والقطن ، انما هو خروج نيرانه منـه ليست أن ناراً جاءت من مكان فعملت فى الحطب ، ولكن النار الكامنة فى الحطب لم تكن تقوى على نفى المانع ضدها عنها فلما اتصلت بنار أخرى واشتدت منها قويتا جميعا على نفى ذلك المـانع . فلما زال تجزأ الحطب وتجفف وتهافت لمكان عملها فيـه » . « وإن من ينكر أن فى الحجر ناراً كامنة ، كمن ينكر الزيت فى الزيتون ، والدهن فى السمسم ، والدم فى الانسان ، ويقول بحدوث ذلك عند رؤية الانسان لها » .

بل تتوسع هذه الفرقة فى تطبيق نظريتها ، فعندها أن حرارة الأيام ليست من الشمس ، وانما النيران الكامنة فى العالم تظهر بتقوية الشمس لها وتغليبها على مانعها ، بل تطفر من كمون الحرارة الى كمون السم ، فتزعم أن فى كل بدن سما كامناً ، له مانع يمنعه من ظهور أعراضه - وليس سم الأفعى الذى يتلف البـدن - لأنه ليس يقتل متى مازج بدناً لا سم فيـه ؛ ولكن الذى يقتل السم الكامن فى الأبدان ، متى أعانه سم الأفعى وقواه على مانعه .

البراهين على كمون النار :

لو كانت العيدان كلها لا نار فيها ، ما كان ظهورها فى بعض العيدان أسرع منها فى البعض الآخر ؛ لكنها كانت كذلك - لأن مانعها أضعف فى بعضها عن بعض ، فيكون ظهور نيرانه أسرع ، فالمرخ والعفار أفضل العيدان ، كما أن الحجارة تختلف فى الأسرار ، وأكثرها ناراً حجر المرو - وقد تحتك عيدان الأشجار فى الغياض فتلتهب النار - وقد تقدح النار من الساج اذا اختلط بعضه ببعض فى السفينة عند تحريك الأمواج لها ، ولذلك أعدوا الرجال يصبون عليه المـاء صبا ، ولم صار لبعض العيدان جمر باق ، وبعضها له جمر سريع الانحلال ، وبعضها لا جمر له ؟ ولم صار البردى مع هشاشته ويبسه ورخاوته لا تعمل فيـه النيران ؟ فهل اختلفت تلك الا على قدر ما يكون فيها من النار وعلى قدر قوة الموانع وضعفها ؟

ولا يسكت هـذا الفريق دون أن يؤيد كلامه بآى الكتاب .

قال تعالى « أفرأيتم النار التى تورون ، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون » تقول كيف قال (شجرتها) وليس فى تلك الشجرة شىء وجوفها وجوف الطلق (١) فى ذلك سواء ، وقدرة الله على أن يخلق النار عند مس الطلق كقدرته على أن يخلقها عند حك العود ، وهل يريد سبحانه فى هذا الموضع الا التعجيز من اجتماع الماء والنار ؟ ويقول تعالى : « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون » فهل تجد لذكر الخضرة الدالة على الرطوبة معنى ، الا ذلك التعجيز ؟

(١) نبت تستخرج عصارته فيتطلى به الذين يدخلون فى النار فيمنع الحرق

نظرية الاستحالة

تنكر هذه الفرقة أن النار كامنة فى العود ، وكيف تكمن فيه وهى أعظم منه ؟ ولا يجوز أن يكمن الكبير فى الصغير ، ولكن العود اذا احتك بالعود حمى العودان ، وحمى من الهواء المحيط بهما الجزء الذى بينهما ، ثم الذى يلى ذلك منهما ، فاذا احتدم رق ثم جف ثم التهب ، فانما النار هواء استحال .

والهواء فى أصل جوهره جسم رقيق خوار ، جيد القبول ، سريع الانقلاب ، فالنار التى نراها اكثر من الحطب انما هى ذلك الهواء المستحيل ، وانطفاؤها بطلان تلك الأعراض الحادثة للهواء . ينقلب الهواء الى نار ، لأن طبعه قريب منها ؛ فالنار يابسة حارة ، والهواء رطب حار ، والماء رطب بارد . فالهواء وسط بين النار والماء يجمع بينهما ، وقد ينقلب كل منها الى مايقاربه . فيجوز ان ينقلب الهواء نارا ، وينقلب الهواء ماء ، ثم ينقلب الماء أرضا ، ولابد فى الانقلاب من الترتيب والتدريج .

البراهين على انكار الكمون :

نرى براهين هذه الفئة سلبية ، فهى تنكر الكمون باعتراضاتها على النظرية ، وإن كانت لاتتقدم بحجج تؤيد الاستحالة ، فترى المناظرة تنتقل الى تأييد الكمون وإنكاره . تقول هذه فى الانكار .

ان هذا الحر الذى رأيناه قد ظهر من الحطب ، لو كان كامنا فيه لكنا وجدناه بالمس كالجمر المتوقد ، فان قلتم كان يمنعه برد مكافئ كامن مثله ـ فأين ذلك البرد ؟

لايخلو الحال من أمرين : إما بقى بعد الأحراق ، وإما خرج عند الأحراق . فان كان باقيا فى الرماد استلزم ان يكون الرماد أبرد من الثلج ، وإن كان خرج مع الحر ، وأخذ كل وجهته ـ فقد كان ينبغى له أن يخمد ويهلك مالاقاه ، كما أحرق الحر وأذاب كل مالاقاه ولما وجدنا جميع أقسام هذا الباب لم تتحقق ، علمنا أن النار لم تكن كامنة فى الحطب .

ونشعر بقيمة هذا الاعتراض ، إذا لاحظنا قول الفريق الأول فى أن النار تنفى المانع الذى هو البرد ، ولم يقل تفنيه وتبطله ـ إذن فالبرد موجود عند الاحراق ، يقع عليه أحد الفروض السابقة .

بعد هذا أخذت كل فرقة تنتصر لنفسها بنقض قول خصيمتها وإنا نمسك عند هذا المقدار .

احمد احمد التاجى

فى محكمة التاريخ

الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى

هل غدر بأمته وخليفته ؟

— ٢ —

مناقشة المصادر

المصادر كما رأيت قسمان: قسم يبرىء الرجل مما نسب اليه ، وآخر لا أقول يتهمه بالغدر والمخامرة ، بل يلصق الخيانة به لصقا دون تحرز او تشكك ، ويمثل القسم الأول ابن الطقطقى وحده ، ويمثل الثانى ابو الفدا وابن الوردى والكتبى وابن خلدون ودحلان ، فهؤلاء متفقون فى الجوهر مختلفون فى الاعراض . والآن أحول شطر انتباهى نحو ابن الطقطقى لأنه اول من كتب عن الحادث ، ولأنه المؤرخ الأوحد الذى يحاول ان يبرىء ساحة الوزير من تلك التهمة الشنعاء ، فيقول بصراحة إن ابن العلقمى لم يخامر ، ويؤيد مدعاه باستبقاء هلاكو للوزير وتسليمه الأمر اليه بعد فتح بغداد ، الا ان مانعلمه من كلام ابن خلدون يدحض حجة ابن الطقطقى من حيث يؤيدها ، فابن خلدون يذكر كما يذكر ابن الطقطقى أن هلاكو استبقى الوزير فى دست الوزارة الا انه يزيد على ابن الطقطقى فيقول (والرتبة ساقطة عندهم فلم يكن قصارى أمره الا الكلام فى الدخل والخرج متصرفا من تحت آخر أقرب الى هلاكو منه) (١) ثم لابن الطقطقى حجة أخرى فى براءة الوزير هى أنه يستبعد على هلاكو ان يبقى على الوزير فيما لو كان الوزير غدر باستاذه ، وهذا فى الحقيقة استنتاج ضعيف جدا ، يرده مايقع تحت ابصارنا اليوم من استعانة المستعمرين بطبقة خاصة من الناس يسمونهم عادة بالمعتدلين ، لكنهم فى الحقيقة الخونة الخارجون على مبادئ الأمم النزاعة الى استقلالها واستغلال مواهب ابنائها . وماذا يضير هلاكو ان هو استبقى ابن العلقمى؟ وهل بلغ هلاكو من سمو النفس ، وحب الصادقين والمخلصين تلك المنزلة التى تخوله ان يقتل من يخرج على هذه المبادئ ، حتى ولو كان الخروج فى مصلحة هلاكو ؟؟ فعدم قتل هلاكو لابن العلقمى لايؤخذ حجة على سلامة نيته فى دولة المستعصم ، بل على العكس من ذلك يمكن اعتباره كدليل على إدانة الرجل وممالأته لاعداء الخلافة المتبرين . ثم

(١) ابن خلدون ج ٥ ص ٥٤٣

هناك أمر يسترعى الانتباه ، وهذا الأمر هو تصدى ابن الطقطقى لنفى التهمة ،وتصريحه بأن هنالك من يتهم الوزير بذلك . فهذا يؤيد المصادر الأخرى التى تقول بمخامرة الوزير ،ذلك لأنها لم تختلق هذه التهمة اختلاقا ، فقد ذكرها من تقدمها الكن وجهته سلبية ،وأعنى به ابن الطقطقى،ولذا فانا أظن أن تعرض المؤرخ لنفى الاتهام له تفسيران إما أن يكون المؤرخ يعلم حقيقة أن هناك مخامرة ،فعمد إلى نفيها اضلالا لمن بعده ،أو أن شائعات قوية راجت عن خيانة الوزير إن صدقا وإن كذبا ، فتصدى صاحب الفخرى لدحضها وتكذيبها لغاية فى نفسه أو لغير غاية .وأنا أرجح أن تعرضه لهذا الموضوع كان سببا فى رواج تلك الشائعات .أما لأى الغايتين فلا أرانى قادراً على تحديد ذلك ، هذا من جهة ،ومن جهة ثانية دعنا نسلم بأمانة ابن الطقطقى وحرصه على الحقيقة وتباعده عن التشيع ! ! . . . الخ . ما هنالك الا أن كل هذا ينقصه أمر مهم فى النقد التاريخى ،ذلك الأمر هو أن ابن الطقطقى ينقل لنا عن الوزير ما قاله أو حدثه به ابن أخت الوزير ،وفى هذا كفاية لتقليل أهمية ما يرويه المؤرخ ، ولا سيما فى موضوع اتهامى له علاقته الشديدة بالشرف والشهامة، وهذان يهمان ابن الأخت بقدر ما يهمان خاله ،فاى اعتبار بعد هذا يبقى لما يرويه ابن الطقطقى ؟ ؟ ؟

أما ما يقوله ابن الوردى فهو فى الحقيقة رد فعل لما يقوله ابن الطقطقى ،فهذا يشتد فى الدفاع عن الوزير ،وذاك يشتد فى اثبات الجريمة عليه ،وقد ذهب الغلو بابن الوردى مذهبا شططا نخرج عن كياسة المؤرخ وحياده ،وأنسته العاطفة الجامحة وظيفته والموقف الذى يجب أن يقفه كل مؤرخ ،فنعت الرجل بالغوى ولعنه ،وبخل عليه بالترحم الذى يستمطر عادة على العصاة والمجرمين ، وقد ذكر أشياء لم يذكرها أحد ممن تقدمه ولا ممن تأخر عنه ،فمع أنه ينقل عن ابى الفدا ،فقد ذكر أموراً لم يذكرها أبو الفدا نفسه ،وأهم هذه الامور نص هذه الرسالة التى يزعم أن ابن العلقمى أرسلها الى التتر وهى رسالة طويلة .وقد جئت على ذكرها فانا أشك فى نص الرسالة ويلح على الشك حتى يميل بى الى الجحود والانكار ،وذلك لسببين : الأول انفراده بذكرها ،والثانى أسلوب الرسالة والكلفة البادية فى لهجتها ثم الجمع بين شعر من هنا وهناك لارابطة بينه ،ولاسيا الأبيات التى تجعل الاتراك (ويريد بهم المغول وهذا يدل على تدقيق المؤرخ !) طلاب ثار آل محمد ،ثم أمره هلاكو أن يتأول أول النجم وإيصاءه هلاكو بالحرص الذى ليس له معنى فلا أدرى ماعسى الوزير يريد بحضه هلاكو على تأول النجم والحرص ، والذى يزيد فى غرابة هذه الرسالة هو استنهاض ابن العلقمى لهلاكو بذكر ما أصاب العترة العلوية والعصابة الهاشمية ، وماذا يفهم هلاكو من هذا ؟ فهو لم يكن شيعياً ليتأثر بهذه اللهجة الشيعية ، ولا نعلم حقاً هل أسلم هلاكو أم بقى على وثنيته ، فقصة موته ودفنه تؤيد أنه لم يسلم ،أو إذا كان أسلم فأن الاسلام لم ينفذ الى قرارة نفسه ، ولم يتأثر به التأثير الذى يعطف على الشيعة ويثير فيه عاطفة دينية تحفزه لمهاجمة بغداد ، ثم ان دحلان يصف التتر وصفا لايطابق روح الرسالة التى يذكرها ابن الوردى،فيقول دحلان (وكان ذهاب الخلافة بدخول التتر بغداد وهم قوم كفار خرجوا من الصين وتغلبوا على ممالك الاسلام وكانوا يقتلون الرجال والنساء والصبيان ، ويأكلون كل شىء حتى الكلاب والحشرات،ولا يعرفون نكاحا ولا يحرمون شيئا ،وكان ابتداء خروجهم فى أول القرن السابع،وظهر امرهم فى سنة سبع عشرة وستمائة على الامصار والمدائن والقرى ، الى ان استولوا على بغداد وازالوا خلافة بنى العباس، (١) فهل نرى بعد هذا ان فى كتاب ابن العلقمى المزعوم مايلائم طبائع قوم كهؤلاء ، وهل فيه ما يستثير حماسهم ؟ انى لأأرى شيئا من ذلك ، فلو جاء فى الكتاب مايتفق مع عقلية اولئك البرابرة كذكر غنى المملكة ،وسهولة اقتحامها والى ما هنالك من مغريات،لكان فى ذلك مايدفعنا الى الترجيح بأن هذا النص الذى يورده ابن الوردى قد يكون النص الحقيق لكتاب الوزير الى هلاكو ان صح ان الوزير ارسل كتابا ، اما ونحواه ما عرفنا فانا استبعد جدا ان يكون هذا النص صحيحا ، . ثم هنالك اختلاف بين المصادر بشأن شخصية الرسول وكيفية الارسال ، فابن الوردى يقول بأن الوزير ارسل أخاه ، وصاحب الفوات يذكر ان الوزير (تحيل الى ان اخذ رجلا وحلق رأسه حلقا بليغا وكتب ماأراد عليه و . . .) (٢) ، أما ابن خلدون فيذكر وصية أوصاها الوزير لصديقه ابن الصلايا صاحب اربل ، ليستحث التتر على المسير الى بغداد ،وهذا معقول جدا ،وليس فيه ما يدعو الى التشدد فى عدم احتماله أو تصديقه ، ولا سيما ونحن نعلم ان ابن العلقمى لم يكن راضيا عن الدولة التى استبد بأمورها الدواذار ذلك السنى المتشدد فى سنيته ، والحق انى مستريح لما يذكره ابن خلدون لأنه منطقى يستسيغ العقل قبوله ،ولأن الرجل لم يظهر أقل تحيز أو ميل

---

(١) الدول الاسلامية ص ٢٥

(٢) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٥٣

وكذا أبو الفدا فقد ألفيته فيما كتبه شريفا مترفعا عن الهوى وليس هذا بالكثير على ذلك الملك المؤرخ . اما دحلان فيريد ان يقول لنا ان لمجىء التتر اسبابا كثيرة ، من اعظمها رسالة الوزير لهلاكو ولكن ما يؤسف له انه لا يذكر سببا واحدا من هذه الأسباب الكثيرة . أما أنا فلا أعتقد أن وصية الوزير ان ثبتت هى التى جاءت بالتتر وحدها ، وانما قد تكون عاملا قويا فى تسهيل الاغارة على بغداد ، وآسف أنى لا أعرف الكافى عن تاريخ التتر ليتسنى لى تعداد بعض الاسباب التى حفزتهم لشن غاراتهم الشعواء ، واخيرا وبناء على ضعف حجة وكيل الدفاع ابن الطقطقى وتكاتف بقية المصادر على ادانة الوزير - أرانى مضطراً اضطراراً علميا سليما من الغاية ، وبعيداً عن الهوى ، ومبنياً على ما أوصلنى اليه استقصائى أن أرجح غدر الوزير بدولته وخليفته متبعا فى ذلك ابن خلدون بأن ذلك وقع على يد ابن الصلايا الذى يظهر أنه اتصل بالتتر فحسن لهم مهاجمة بغداد بشتى الطرق ، وذلك بعد أن ضاق الوزير ذرعا بالدوادار وولى العهد واشياعهما السنيين وبعد أن قاست الشيعة نكبات وويلات وفضائح فى العرض وخسائر فى المال أخرجت الوزير عن تعقله ، وجعلته يتناسى كل شىء فى سبيل الانتقام أولا وانقاذ الشيعيين ثانيا ، فلم يجد أمامه أوفق من الاستعانة بالمغول الذين لم تكن بغداد غريبة عن الاستعانة بهم ، فقد سبق للخليفة العباسى أن استعان بجنكيز خان على شاه خوارزم ، وقد أصاب بغداد من جراء استغاثة الوزير بهلاكو ما أصاب المشرق وبخارى يوم استعان الخليفة بجنكيز على الشاه .

فرحان شبيلات
الجامعة الامريكية (بيروت)

٣ — ابن قلاقس

٥٣٢ — ٥٦٧ هـ (١١٣٨ — ١١٧٢ م)

— ٦ —

لابن قلاقس ديوان شعر يحدثك جامعه أول ما يحدثك أن هذا الشعر ليس كل شعر ابن قلاقس ، لأنه حذف منه ما لا يليق بهذا الشاعر من غث القول وسخيفه ، وهى فكرة خاطئة تضر بتاريخ ، ولا تفيده ؛ إذ من الخير لنا أن نرى جميع مظاهر التفكير للشاعر ، سواء أكانت جيدة أم غير جيدة ، غير أننا اليوم وقد ذهب ذلك الشعر الضعيف ، ليس لنا إلا أن نتحدث عن هذا الشعر الذى بين أيدينا ، وأهم ما يميزه خصائص ثلاث : أولها الغرابة فى كثير من الأحيان ، تلك الغرابة التى تستدعى منك مزيد العناية والاهتمام ، فأنت إذ تقرأ شعره لا تقرأه مارا عليه أو مسرعاً فى تلاوته ، ولكنك تقرأ محترساً منتبها ، موجهاً كل همك إلى تفهم مايريده ، وفهم ما يقصده ؛ ولست أدعى أن ذلك محمدة فى الشعر ، أو فضيلة بها يمتاز ، ولكننى أزعم أن الذى أوقع شاعرنا فيها هو غرامه الذى لا حد له بالمحسنات اللفظية والجمال البديعى ، مما يدعوك إلى أن تقرأ القصيدة مرة ومرة حتى تفهمها ، وتدرك سر معناها ، على أنه لم يكن فى كل شعره كذلك ، بل هو فى كثير من الأحيان يترقرق عذوبة ، ويسيل لينا ولطفا ، واستمع اليه يقول :

كان الشباب الغض ليـ ... ـلا فاستنار الشيب فجرا
ولئن تقلب بى الزما ... ن كما اشتهى : بطنا وظهرا
فيما قتلت صروفه ... وقتلته جلداً وخبراً
غاض الوفاء ، وفاض ما ... ء الغدر أنهاراً وغدراً
فانظر بعينك هل ترى ... عرفا ، ولست تراه نكراً
خلق جرى من آدم ... فى نسله : وهل جرا
ومروعى بالبحر يحـ ... ـسب أننى أرتاع بحرا
أو مادرى أنى بتسـ ... ـهيل المصاعب منه أدرى ؟ !

ثانى الخصائص التضمين والاقتباس ، وهما إن دلا فانما يدلان على ثقافة واسعة ، واطلاع على الشعر عظيم ، وشاعرنا قد أخذ كثيراً من معانى السابقين وصاغها فى شعره ، فاذا أنت سمعت قوله :

والماء يكسب ماجرى ... طيبا ويخبث ما استقرا

عاد إلى ذهنك قول البديع : وهو الماء إذا طال مكثه ، ظهر خبثه ، وإذا سمعت قوله :

وبنقلة الدرر النفيـسة بدلت بالبحر نحرا

خطر ببالك قول صرد :

قلقل ركابك فى الفلا ودع الغوانى للخدور
فمحالفو أوطانهم أمثال سكان القبور
لولا التنقل ما ارتقت درر البحور إلى النحور

بل هو يتعدى ذلك أحيانا إلى المعارضة ، وقد استطعنا أن نعرف أنه قد أخذ من ابن الرومى وابن المعتز والمتنبى وغيرهم ، وكان أكثر من عارضهم البحترى فهو قد عارضه فى قصيدته السينية بتلك القصيدة التى يهنىء فيها بمولود ويقول :

كوكب لاح بين بدر وشمس فسرى بالسرور فى كل نفس

وتشبهه به جعله يقع أحيانا فى سوء التخلص الذى كان البحترى يقع فيه كثيرا كما شابهه أيضا فى الفخر بشعره والمغالاة فى التحدث عن قوته وجماله ، ولسنا ننسى بعد أقوال البحترى مفاخرا بشعره بعد إلقاء قصيدته ، وهاهو ذا ابن قلاقس يقول عن شعره :

أين أمثال ما أقول ؟. وقولى بات يقتاد شارد الأمثال

وهو قد عارض كذلك بعض قصائد جاهلية وأموية واقتبس منها ، مثل قصيدة : قربا مربط النعامة منى ، وقصيدة : حننت إلى ريا ، وغيرهما .

ثالثة الخصائص ولوع بالمحسنات اللفظية والجمال البديعى ، وبخاصة الجناس والتورية ، شأنه فى ذلك شأن الشعراء المصريين واستمع إليه يقول :

أمنا فى فنائكم الليالى فلا طرق الفناء لكم فناء

ويقول :

وكيف لا يجب القلب الذى فعلت يد الصبابة فيه فوق ما يجب

وكثيرا ما تسمعه يقول : حجابا وحجابا ، أو إجلاء وإجلابا ، أو إرغادا وإرغابا ، كما كان له كذلك ولع خاص بالاستعارة المكنية التى يثبت فيها للمشبه خاصة ولازما للمشبه به فكثيرا ما تسمع منه ثغر المزن ، ووجنات الورد ، وجبين الخطب ، ومعاطف الطرب ، وغير ذلك .

شعر شاعرنا جار على القوانين النحوية والصرفية لا يشذ عنها ، ولا يخرج عليها ، اللهم إلا إذا استثنينا قطعه لهمزة الوصل أحيانا وأخذه بمذهب : وحملت زفرات الضحى ، ذلك المذهب الذى يسكن عين جمع المؤنث السالم حينما تكون الفاء مفتوحة . وهو لا يلجأ إلى ذلك إلا مضطرا مكرها ، كما أنه لم يلجأ - وعلى الأقل فى هذا الشعر الذى بين أيدينا - إلى أساليب العامة إلا فى النادر الأقل كقوله :

يبكى به الاقلام نقلا محرف تموت معانيه عليه من الضحك

ويحسن بنا أن نقول : إن ابن قلاقس كان ينظر الى الشعر نظرته إلى شىء يثير العاطفة ، فالشعر ليس كلاما مزخرفا فحسب ، ولكنه قول يثير فى النفس عاطفة تدعو إما الى الزهد فى الدنيا أو الاقبال على لذتها وحسنها وجمالها .

— ٧ —

أهم ما طرقه ابن قلاقس من الأغراض المدح ، والغزل والوصف ، والعتاب والرثاء والهجاء ، وهى كلها من أنواع الشعر الغنائى الذى لا قصص فيه ولا تمثيل ؛ ومدح شاعرنا أكثر هذه الأنواع وأوفرها قد أخذ بحظ من الجمال وحظ من الرقة ؛ تقل فيه المغالاة والاغراق ، وشاعرنا ينظر الى شعر المدح نظرته الى العقد الذى يربط محاسن الممدوح : وينظمها فى قرن واحد ؛ ولولا الشعر لظلت هذه المحاسن متفرقة غير مجتمعة ؛ فهو يقول :

وما الشعر الا سلك منتثر العلا ينظم فيه درها المتبدد

ويقول :

إذا ما المجد لم يضبط بشعر فقد أضحى بمدرجة الضياع

غير أننا نتساءل : أكان شاعرنا يتكسب بشعره ؟ وإذا كان فماذا كان نصيبه من ممدوحيه ؟ أما أنه كان يتكسب بشعره فاننا نراه يقول

تأبى لى الهمة أن أجعل شعرى مكسبى

غير أننا بالرغم من ذلك البيت نكاد نوقن بأن شعره كان وسيلة من وسائل كسبه ، يدلنا عليه أولا تلك الرحلات التى رحلها فى الشرق والغرب ، ولا بضاعة معه الا شعره ، وثانيا تلك القصائد التى فيها يقاضى ممدوحيه بالعطايا والهبات ويبدى لهم فيها فقره وحاجته ، بل إن بعض قصائده تدل على أن بعض ممدوحيه قد جعل له راتبا يتقاضاه .

(لها بقية)

احمد احمد بدوى

من طرائف الشعر

عبرات منظومة

للأستاذ عبد العزيز البشرى

أتى على الأستاذ البشرى سبع وعشرون سنة لم يقل فيها بيت شعر ، حتى فجعه الموت فى صديقه الدكتور حلمى المنشاوى وهو فى ريق شبابه ومشرق نبوغه ، فرثاه بهذه القصيدة الباكية .

حلا الدمعُ بعدكَ والعيشُ مُرّ ... فخطبك جلَّ عن المصطبر
وما خيرُ هذى الحياة وقد كنـ ... ـت ملء الفؤاد وملء البصر
فان كان لابدّ من لُبثةٍ ... فما هى إلا الدُّمى والصور
وأما الهناء ، وأما النعيـ ... ـمُ فذلك عفّى عليه القدر
وهل كان يضحك زَهرُ الربى ... إذا لم يباكرْهُ فيها المطر ؟
وما لذّة السمع للسامعيـ ... ـن وما من حديث ولا من سمر
ويا وَيحَ من أمعنوا فى الفلا ... ةِ إذا الليل جنّ وغاب القمر !

بنفسى هذا الفتى الأريحـ ... ـىُّ النجيب النجيد الأبىُّ الأبَرّ
جميل المحيّا ، نبيل الخلا ... لِ ، كريمُ الفعالِ ، صدوقُ النظر
شديدُ الحياء ، عظيمُ الوفاء ... يرى الشرّ شرّ الهنات الكُبَر
أمين لغيب الصديق ، نصيـ ... ـحٌ رفيقُ المقالِ إذا ما حضر
له شيمةٌ كعبير الورود ... ورُوحٌ كمثل نسيم السحَر
جلا هذه النفس من صاغها ... وطهرها من خبيث الوضر
وما كان يعلو الغبار السما ... ءَ أو يسكن التُّربُ جوفَ الدُّرَر

أحلمى ، رويدك ماذا جرى ؟ ... تحدّث ، فدأبك صدقُ الخبر
لقد كنت نعم الفتى المرتجى ... فديتك والأمل المدّخر
صليبَ القناةِ ، خضيب الحصاة ... رحيبَ الأناةِ عزيزَ النفَر
فتىّ العزيمة ما تنثنى ... ولو ذا[illegible] إلمام الحجر
بعيد المطالب ، رحبَ المنى ... وَصولَ الجهاد ، دؤوب السهر
ترجّى وترجىَ لجلىّ الامور ... فماذا دعاك لهـذا السفر ؟

لكم صادَ فيك أبوك المنى ... دِراكا وصارعَ فيك الغِيَر
وَضنّ على الدهر أن يعتريك ... بما يعترى العالمين الدهر
ولو قد ترقرق ماء الحياة ... لدَى المشترى ماونى أوفتر
ولو كان يرضى الفدى مهجة ... لشدّ على قلبه واعتصر
ولكن تغلب عزمُ الزمان ... على عزمه والقضاء انتصر
أحافظُ ، ذلك حكم الاله ... وهل لامرىء دونه من مفرّ ؟
فلم يبق إلا الرضى بالقضا ... أعانك من قد بلا واختبر

خيـــالة !

للشاعر الدمشقى انور العطار

خيـــالة للغابرِ الدّفينِ ... فى ظلمَاتِ الأبدِ الجنينِ
تحسُرُ عن فؤادها الطّعينِ ... تفيض بالدموع والأنينِ
تطفحُ بالآمالِ والحنيـــنِ ... جبّارةٌ فى جسدٍ وهُونِ
مفجوعةٌ بالأملِ الثّمينِ ... ليس لها فى الكون من مُعين
يرْثى لها فى الحالكات الجُونِ ... ما انتابها من دهرها الخَؤُونِ
قد امتطتَ أجنحةَ الظّنُونِ ... فاستترتْ فيها عن العيُونِ
ثم توارت فى دُجَى المنُونِ ... سادرةً فى ظلها الأمينِ
هادئةً تنعمُ بالسكونِ ... وصورةٍ لشاعرِ الغصُونِ
أمعنَ فى النُّواحِ والرّنينِ ... لم تمحُها آلهة الجفونِ
مِن ساحِ قلبٍ وَجعٍ ضَمينِ ... مفجّعِ الأحلام كلَّ حينِ
فهل لِتربِ الشّجْوِ من خدينِ ... يقبّلُ منه صفقةَ الغَبينِ
وخافقاً يمُوجُ بالشجون ... ومقلةً فيّاضةَ الشؤُونِ

هديّةٌ مِن شاعرٍ محزُونِ ؟

أعــداء لا أضياف

للاستاذ فخرى ابو السعود

أ.انا نقرىء القومَ السلاما ... ويبغون العداوة والخصاما
ونكرمهم مجاملة ووداً ... ولم نر فيهمُ الشيمَ الكراما
ونرعاهم بموطننا حلولا ... ولم يرعوا لموطننا ذماما
ونمنحهم قِرى العربىّ جوداً ... قعوداً بين أظهُرِنا قياما
وقد أمستْ عُروبتُنا لديهم ... ونسبتُنا إلى الأجواد ذاما
وندعوهم ضيوفاً فى ذَرانا ... لهم حقُّ النزيل إذا أقاما
وما للضيفِ حقٌّ من مضيفٍ ... اذا نبذ الحياء والاحتشاما
ونزعمنا مُضيفيهمْ وهذى ... خديعة مَن تخادعَ أو تعامى
هُمُ ساداتنا فيما ادّعوه ... ولم نكُ عندهم إلا سَواما
أمهما تلق أوربّا برذلٍ ... إلى مصر تطاولَ أو تسامى؟
وندعوهم أخوّتنا ونبغى ... لودِّ الشرق والغرب التئاما
وهم يترفعون عُلاً ونبلاً ... وقد شطروا الورى آراً وساما
فمهلاً معشر الدُّخلاء مهلا ... إلامَ نسيغ كيدكمُ إلاما!
إلامَ نرى الدخيلَ لمصر حرباً ... وما تمسى له إلا سلاما؟
لكم منا غدٌ صعبٌ عصيبٌ ... وإن نِلتم بيومكمُ المراما
فضوليّون أنتم لا ضيوف ... ثقلتم فى منازلنا مُقاما
مَننتم أن منحتم شعب مصر ... كِساءً أو شرابا أو طعاما
وما رُمتم بذلك غير مالٍ ... حلالا نلتموهُ أو حراما
به أعليتُمُ فى مصرَ دوراً ... وأحرزتم بها الضيعَ الجساما
ولم تسعَوْا لها الا ابتدارا ... إلى الفرَص السوانح واغتناما
زعمتم مالكم دمَ مصر يحيا ... به أبناؤها عاما فعاما
وما أموالكم إلا بلاءٌ ... تسرّبَ فى دم الوادى سماما
وداءٌ فى مفاصله عياءٌ ... مشَى يبرى المفاصل والعظاما
مُصابُ النيل أنتم لو علمتم ... وأوّلُ راشقٍ فيه السهاما
ولولا كم لما أمسى أسيراً ... مَهيضاً فى الحوادث مستضاما
بنى مصر! بغى اللؤماء بغياً ... علامَ نطيق بغيهم علاما؟
هُمُ الأعداء لا الأضياف فينا ... فلا تخدعْ بمكذوب الأسامى
لئن لم نسقهم مما سقونا ... لنحن أحقُّ منهم أن نلاما
أخو الافرنج إن تكرمْهُ يشمخْ ... عليك وان تقوّمْهُ استقاما
يخال الجودَ فى الأجواد ضعفاً ... وأنّى شامَ بارقةً ترامى
فلا تنسَوْا مقالا من حكيم ... وقدماً أحكم العربُ الكلاما
يحذرُ من أراد ندًى وبراً ... عواقبَ برّهِ القومَ اللئاما(١)
تجافَوْا من تجافَى عن هوانا ... ولا ترعَوْا لمصغرنا مقاما
أشلّوا عن تجارتنا يديهم ... فقد ملكوا بها منا الزماما
وقدّوا عن معاصمنا امتيازاً ... يكبّلنا به القوم اهتضاما
حبَوْناهم به أمس اختياراً ... فغلّونا به اليومَ التزاما
ولم أرَ مثله ذلا وعاراً ... وغبناً للعدالة واختراما
كانا ما تشرعنا وعنا ... هُمُ قبسوا القضاء والاحتكاما
جزَوْنا عن قديم الفضل شراً ... وجازَوْنا عن الودِّ انتقاما
أذاقونا المذَلّة فى حمانا ... وإن نصمت أذاقونا الحِماما

(١) اشارة الى قول المتنبي : وان انت أكرمت اللئيم تمردا

خداع الحياة

حطّمْتُ قيثارى وعفتُ الهوى ... وضقتُ ذرعاً بالأمانى العذابْ!
واعتضتُ عن شدوى بلحن الأسى ... والشجْوُ يطغى فى ظلال الشبابْ!
ومأملٍ أشرق، ضاحي السنا ... منضرَ الأفياء، رحبَ الجنابْ
ألمّ بالروح، كطيف الكرى ... لاحَ لعينٍ، ثم ولى وغابْ

وا لهفتي ! إنّ حياةَ الورى   حُلمٌ عميقٌ مستفيض الشعاب
ولُمعةُ الآمال خــدّاعةٌ   كخُلّبِ البرقِ، يَشيمها الكِـذاب
يخالها المحزونُ ماء الحيا   فانْ دنا لم يُلفِ غيرَ السّراب
لا تَعشقِ الدنيا وإنْ زانها   فيْءٌ ظليلٌ، وغصونٌ رطابْ
لذّاتها محفوفة بالأسى   وساحُها زاخرةٌ بالصِّعابْ
تغريكَ بالزُخرُفِ، لكنها   تَسقيكَ سُمًّا في نَمير الشّراب

ياقلبُ قد أُصليتَ حرَّ الجوى   وذقتَ في عيشك مُرَّ العذاب
ياليت شِعري هل تَلذّ الصّبى
أم يَنتحيك الموت نَضرَ الاهاب ؟
كمْ في الثرى من حدثٍ رائعٍ   طوتهُ كفُّ الدهر جمّ الرّغاب
وعاشقٍ ، أحلامهُ طلقةٌ   ثوى مغيظَ القلبِ تحت التراب
كلّ مَشيدٍ من قصورِ المنى
مضطربُ الأُسّ ، وشيكُ الخرابْ

دمشق   حلمي اللحام

في مرقص مقنع ..

بنت السَّريّ ذهبت   لمرقص مقنـع
تبحث فيه عن فتى   في مالها لم يطمع
حتى إذا ما ظفرت   بذي الحديث الممتع
ورقصا وشربا   نَخبَ الزواج المزمَع
وظن أن نال المنى   (ذاك الغلام المدّعي) (١)
انتزع القناع عن   وجه كوجه الضفدع
فأدبرت مسرعة   فتاتنا في جزع
قائلة في حسرة   ياليته لم يرفع !

حسين شوقي

(١) شطر البيت من رواية مجنون ليلى

الى السيدة منيرة توفيق

أفصحت في شكاتها وأفاضت   عن جوى القلب في بديع النظيم
حرّةٌ عفّة الازار تناجي   هاجر العش في بيان الحكيم
ايهذي الورقاء كفي عن الشجـ   ـو وعيشي بذكريات القديم
وانظميها روائعاً تملأ الكو   ن ففي الشعر راحة المكلوم
واملأي الوكر بهجة واستعيضي   بجمال الآداب خير نديم
وابلغي النجم بالأماني فما اليأ   س من مطمح خلال النجوم

أيها الطائر الذي هجر الوكـ   ـر ولم يعن بالفؤاد الرؤوم
أجزاء العفاف ياصاح هجر   وجزاء الوفي عيش المضيم
منحتك الفؤاد ملكاً حلالا   وحبتك الوفاء فعل الكريم
اسئمت النعيم ام شمت برقا   خلبا من عواذل وخصوم
لاتصخ ياأخيّ سمعاً لقوم   ينفثون الشقاق نفث السموم
يبذرون الشقاء في منبت السعـ   ـد ويسقونه بماء الحميم
إن في زوجك الجمالَ جمالَ النفـ   ـس يسمو على جمال الأديم
وأرى وجهها ولم أحظ باللقـ   ـيا خلال السطور جد وسيم
ولقد خصها الاله برأي   يا أخا الرأي في الحياة قويم
حبذا العيش في جوار مصون   ذات قول مهذّب مستقيم
عُدْ اليها أخيّ زوجاً عطوفاً   رحم الله كل قلب رحيم
عُدْ إلى زوجك الأمينة والثم   جبهة النبل والوفاء العظيم
قد أهابت وقد هجرت حماها   بك للعود للهناء القديم
فاحبُها الحبّ والوفاء وعيشا   في حمى السعد في صفاء النعيم

مكتب وكيل حكومة السودان   أحمد يحيى وصفي

واليهـا أيضا

رقّتْ برقتــكِ الشمائل   وجمعتِ أشتات الفضائل
أدب وعلم ضمّنا   حِكَمَ الأواخر والأوائل
ظرفٌ ولطفٌ أنسيا   ني سحرَ هاروت وبابل
لكِ من كمالكِ غنيةٌ   عن قاطع وُدًّا وواصل
أولستِ مخلصة ؟ فما   لكِ تأسفين على المخاتل ؟!
لا تعجبي من ميله   فالدهر يا أختاه مائل
إن الأُلى شغلوه عنـ   ـك لبيّنين سافلة وسافل
لاطفته حتى استطا   ل فجرّبي معه التثاقل !
كل السعادة في الحيا   ة عقيلة في بيت عاقل

المنية   محمد جاد الرب

صور مختارة من الشعر الرمزى

للاستاذ خليل هنداوى

جيفـــة

للشاعر الفرنسى بودلير

أتذكرين ماراينا فى صباح ذلك النهار الجميـــل فى منعطف سبيل !؟

جيفة مطروحة فوق الحصا   صعد الساقان منها فى الهواء
كفتـــاة سعرتها شهوة   نضحت منها جراثيم البلاء
كانها مسترسلة للمجون فى ذلك الرقاد !
ناضية ثيابها عن جوف طافح بريح الفساد !
تبسط الشمس عليها نورها   لاذعا تنضجها قبل المساء
نثرت اوصـالها ترجعها   بعد تفكيك عُراها ، للفضاء !
زهرة فتحهـا برد الندى   هكذا تنظرها عين السماء
وهى اذ تنشق ماتبعثه   تنشق السمّ زعافا والوباء

وللذباب حول هذا الجوف النتن دوىٌّ وطنين ! والديدان تزحف فى مساربه كالكتائب السوداء فائرة او كالموجة القاتمة تتقلب على هذه المزق المتناثرة .

موجة نازلة صـــاعدة   زفرة بين هبوط وارتقاء
حيث يحيا الجسم تكراراً بها   مبدعا منه جسوما من هباء !

والاجواء كانت تردد موسيقاها الغريبة ، كخرير الماء الراكد ، وعويل الريح الكئيبة ، أو كترجيع الحبوب ترتل فى المذراة الحانا متناسقة عجيبة ، والأشكال كلها قدعفت وامحت رسومها لايستطيع الفنان ان يعيدها سيرتها الاولى الا اذا اكمل نسجها وتأليفها بالذكرى

كلبـــة ترمقنا نافخه   شقيت فينا شقاء الضعفاء
ترصد الفرصة كى تنهشها   وترى فى لحمها البالى شفاء
وغداً ! يانجمتى ! يامنيتى !   يمسح الموت على هذا البهاء
عند ماتغدين فى جوف الثرى   جيفة تنثرها أيدى الفناء
تحت أعشاب وأزهار نمت   تخذت من جسمك الغض غذاء
حيث يمشى الدود فى أحنائه   آكلا باللثم منهـا مايشـاء !
خاطبى الدود ! وقولى للبلى   إننى أنقذت من حب عفاء
كُنهىَ السامى الالهىِ الذى   ابداً يبقى قريناً للبقاء

عـــالم النسيان

للشاعر بول فدر

« السكر الأكبر »

....

« هل أنا باخوس آريان ؟
أسكر بالفضاء ، وأطفئ لهيب روحى بندي الليالى .
ألا فلتحرر السماء فى ، ولأمتزج أنا فيها ، فاتحا فى العالم الذي ترتعش كواكبه .
لقد قضى (بيرون ولامرتين وهيغو وشيللي) وهم سكارى بالفضاء والسماوات الساطعة بالنجوم .
لايزال — هنالك — الفضاء يجري حراً طليقا . حلقي اليه دون أن تعصف بي النشوة ،
لا أزال ظمآنا ... »

« بول فدر »

لاتلمنى إن نسيت الموعـدا   أنا فى النسيان أحيا أبدا
لوسرى النسيان فى أرواحهم   لرأوا مثلى حياة رغـدا . . .

كل شيء - غير نفسى - ثابت   لم تزعزعه أعاصير الغيَر
أى خطب لشموس خلدت ؟   غير سخر من عذابات البشر

ما الذى يجديك إن قلت لنا ؟   إنها واقفـة ، أو سـائره
فعذابى فى وجودى واحد   وعلى الروح تدور الدائره

أيها الخافق ! قد أضنيتني :   ما الذي يجديك نوح أو أسى ؟
ناح من قبلك حتى صمتوا   وتولوا كسحابات المسا
عابر تمحـــو له آثاره   كلما خطط أمواجُ القدر
أنت تبغى أن تبقّى أثراً   فامضِ ! لا يبقى على الرمل أثر
أيها العابر ! ما ذنبك أن   جاءكَ الشك وما ذنبي أنا ؟
إن يكن كل يقين خادعاً   فاتبعنى نعلن الشك هنا . . .
نبتغى الراحـــة فى أفيائه   كيف نبغى راحة فى قلق ؟
ربة تصبغ أثواب الدجى   حيـــلة منها ، بلون الشفق
عذلوا الذاهل عن إحساسه   لو دروا فى أمره ما عذلوا
قل لهم ! لو ذهلوا عن وعيهم   لاستطابوا عيشهم إذ ذهلوا
أسلمونى لشـــعورى المبهمِ   أنا أحيا فيه بشعورى المبهم
أخبروا الليل بأن يغمرنى   فهنائى فى الظـــلام المظلم
فى اعتزالى عالم أسكنه   وصلت أجزاءه أخيـــلتى
كم إلـه ! ماله فى يقظتى   أثر ، سامرنى فى عزلتى ؟
كلما أغمضتُ عينى انفتحت   لعيون النفس أكوان الأمل
كم رجاء كان ينأى فدنا . . .   وحبيب كان يعصى فوصل . . .
كلما أطبقت جفنى انبعثت   ذكرياتى مثل أشباح الدجى
عانق الشك يقينى ضاحكاً   والتقى اليأس صديقاً بالرجا

الغابة المفجوعـــة

للشـــاعر بودلير

« رسائل »

« الطبيعة هى معبد يضم دعائم حية يخرج منها فى بعض الاحيان كلمات مبهمة ، يمر فيه الانسان بغابات من الرموز تنظر اليه نظرات أنيسة .

الطيوب والألوان والألحان تتجاوب كالاصداء الطويلة التي تمتزج بعيداً فى وحدة عميقة مظللة واسعة كالليل وكالضياء »

أزهار الشقاء .   « بودلير »

بدّل النهر هواه   إذ تولاه الضجر (١)
قال يا (سلمى) تعالَىْ   أنا لا أهوى الشجر
قد مشى الجهم لديه   مثلما يمشى القمر
ليس للنهر اختيار   فى الذى شاء القـــدر
هجر الطـــير مروعا   عشـــه بين الغصون
صاحِ ! هل تسمع فى الغاب سوى همس السكون ؟
وشكاوى طرحتها الآن   عشاق البشر
عطلت فيها نجاوى   كل طير وزهر
وشجيرات تعرّت   بعـــد ذيّاك البهاء
فهى لا ترجو حياة   بعد موت الاصدقاء
لا عصـــافير تغـــنى   لا ازاهـــير تفـــوح
كل ما يلقاك منهـــا   جسد من غير روح
ايها المقسم عهد الحب   فى هذا المقـــام
احترم حزن ذويه   وامض عنهم بسلام
بين أيدينـــا زهور   قد مشى فيهـــا الذبول
هل وفت عهد هواها؟   هل أتمت ما تقول ؟
كل شىء فيـه ذكرى   حيثما هبت تروع
هى أولى من هـوانا   لو عرفنا بالخشوع
قل لمن تعطيك خـداً   تجتنى منـه القبـل
أعلى زهر ذوى تغ   رس أزهار الأمـل ؟
لحظـــة تاسى فتنسى   بعـــدها ارماســـها
واذا الغـــابة تحيي   فى الهـــوى أعراسها
وتناست كل صـــرف   مثلما تنسى الطيـــور
دائرات الدهر تجـــرى   وهى نشـــوى بالسرور
حزنت يوما ولكن   نسيت احزانهـــا
هل بامكان الفتى ين   سى الاسى نسيـــانها ؟
انما الانسان لو تعـ   لم اشقى الكائنات
ليته كالغاب لا يحـ   فـــظ تلك الذكريات
ليس ما فى الكون الا   صـــورة من مظهرى
ذكرتنى بوجودى   وروت عن معشرى
فى غروب الشمس لغز   لرجـــاء يلتـــوى
فى ذيول الزهر رمزٌ   لغـــرام ينطـــوى
كل شىء — فيه — يا   كالضمـــير المنفصل
فىّ — ما اعظم روحى —   كل شىء يتصـــل .

دير الزور   خليل هنداوى

(١) اشارة الى طريق أقيم على شاطىء جزيرة الدير وقضى على الاشجار المنصوبة على ضفتي الفرات

مطالعات وأشتات :

ذكاء القردة

للدكتور احمد زكى
وكيل كلية العلوم

نبدأ بالتعريف — حضرتها قردة ، مخلوقة من مخلوقات الله ولا تحقير لخلقه ، ولدت فى ليلة اسودّ أديمها بمقدار ما ابيضّ نجمها ، وغاب نحسها وتراجع بؤسها ، على حين حضر



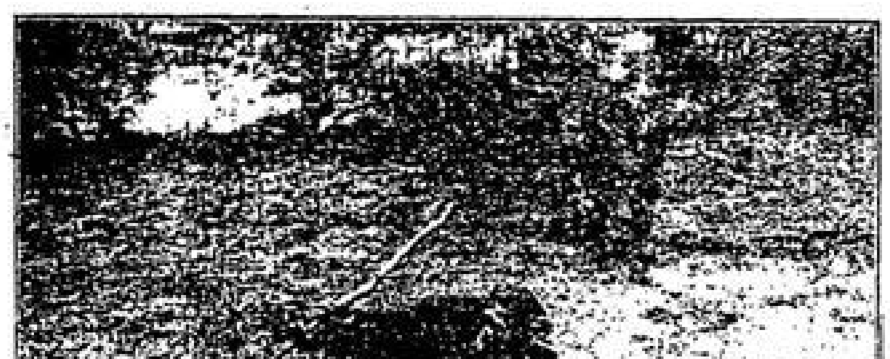
(عاطفة الامومة فى ميمى)

نعيمها وأقبلت بركتها ، ليلة من تلك الليالى الاستوائية الجميلة فى دَغَل من أدغال الكمرون الفرنسية على الشاطىء الغربى من القارة الأفريقية ، وأصبح الصباح ففتحت عينيها ترى وَضَح النهار لأول مرة ، وأدبر النهار عن ليل ازدهرت نجومه فرفعت عينيها إلى علٍ فى خيفة وخشوع ، كأنما تستخبر عن سر هذه الثقوب فى القبة السوداء ، وانسلخ النهار من الليل ، وانسلخ الليل من النهار ، فأخذت تدرج من مسقط رأسها تتعرف البقعة الكونية التى تحيط بها وهى كل دنياها ، وذات يوم وهى تتفقد الأشجار مع القبيل فى هدوء ، وتدور وراء الأحراج فى بطء ، صرخ صارخ القوم ينذر ، فتجاوبت من كل الأرجاء أصوات النُّذر ، فجرت القردة تطلب النجاة فى أعالى الشجر وسواد الغاب ، وضلّت أمّها وتخلفت عن القافلة فوقعت فى أسر نفر من الصيادين الأمريكان ، جاءوا يرتادون الناحية لدرس حيوانها وطيرها . وكان من هذا النفر أمين من أمناء متحف التاريخ الطبيعى بنيويورك ، فأعجبته القردة الطفلة ، فشاء أن يختص بها ويتبناها على قدر ما تسمح أبوة مثله ببنوة مثلها . فأسماها « ميمى » ، وحملها معه حيثما تنقل معسكره فى تلك البقاع الحارة ، وأبى عليه كرمه والعهد الذى اتخذه أن يضع فى يد « ميمى » كبلا أو يقيم دونها حاجزا ، وكانت هى قد آنست من أبيها الجديد رفقاً وكرما وأمومة يقدرها الصغار فى ضعفهم وقلة حيلتهم ، فلم تحاول أن تهرب من المعسكر مرة واحدة . ومضت سنة أو بعضها ، ورجع الأمين عَبْرَ المحيط الى بلده وأخذ صاحبته معه ، ودخل منزله الريفى فى ضاحية من ضواحى نيويورك العظيمة ، فلقيته زوجه وأولاده ، فسروا بالوافد والوافدة الضيفة وأكرموا مثواها .

واليوم ميمى فى منتصف عامها الخامس تزن ٤٦ رطلا ولاتزال تحتفظ بالشىء الكثير من مظاهر الطفولة وبجميع أسنانها الرواضع ، وزادت الى هذه أضراسها الطواحن ، بدأتها

فى السنة الثالثة . وكانت وهى طفلة تحتضن كل من تلقى من معارفها ، أما الآن فهى ترغب عن ذلك كثيرا وتطلب الاستقلال وتود أن تسير وحدها وتتفقد ماحولها بنفسها، وتختبر الأشياء بيدها وعينها ،الا ان هواها لا يستقر طويلا على شىء واحد . وقد استقام عودها واعتدل قوامها وزادت خطاها ثباتا واتزانا . وكان شعرها يطول الى جانبى رأسها حتى ليهبط دون ذقنها ، أما الآن فقد قصر قصراً كبيرا . وكان جلد يديها ورجليها ووجهها قاتما فأخذ يتبقع بالسواد، وكانت صورتها الشمسية تخرج بيضاء وهى تخرج اليوم سوداء

ومهما كان التغير فى جسمها كبيرا فان التغير فى عقلها وادراكها اكبر ، فهى تستطيع الآن ان تسلى أصدقاءها بما تصنع ، وتحبسهم اليها الساعة والساعتين وهم مغتبطون ؛ وهى كذلك مغتبطة ، كأنها تحس أنها بذلك تقيم الدليل على ان معشر الشيمبانزى لهم من الفطرة والذكاء حظ لا يقصر كثيرا عن حظ الانسان منهما



ميمى تقرب الثمرة بعود فى يدها . ويعد استخدام مثل هذه الرافعة وغيرها من الآلات من مبادىء مظاهر الذكاء الانسانى

كانت فى أفريقيا لا تعرف القيد ، ولكن بارتحالها عن تلك الأراضى الواسعة الطلقة، وبنزولها فى باحة المدينة كثيرة الحدود، كثيرة الفروض، كثيرة القيود أصبح لا بد من القيد . فكان فى أول الأمر من الكتان ، ولكن التجربة دلت على قلة غنائه لان ميمى كانت تطلق نفسها منه بالشد والعض، فابدل بسلسلة من الحديد من سلاسل الكلاب المعروفة وهذه لم تمكن بأكثر كفاية ، فما لبثت ميمى أن فطنت الى أن الشد الأقوى يفتح حلقاتها. فزاد سيدها الحديد سمكا . فاتجه نظر صاحبتنا الى الطوق، وكان تارة من حبل معقود وتارة من جلد مشدود ، أما الحبل فقد عرفت بالمران كيف ترخى عقده ثم تتبع ذلك بعضه حتى ينقطع ، وأما الجلد فعرفت بالتجربة المبتدهة أن الريق يلينه فكانت تبله وتشده وتمططه حتى يتسع فتخرج رأسها منه

وأفادها ذلك التفنن فى حل العُقَد حتى برعت فى أساليبه. ربطوها الى حبل طويل ، وربطوا الحبل الى سارية وعقدوه عندها عقداً كثيرة ، ثم أطالوه بعد السارية الى حيث لا يهتدى الى طرفه الآخر . نظرت الى العقدة الأولى فى تأمل ولم تلبث أن هجمت عليها بأسنانها ويديها فأوسعتها سعة كبيرة ثم نفذت بجسمها منها رويداً رويداً . وأخذت تنظر الى العقدة الثانية فى تأمل جديد لم يطل كثيراً وفعلت بها كفعلتها الأولى ، وهكذا حتى انحلت العقد جميعها عن السارية . ولما أعادوا عقد الحبل حول السارية أعادت ميمى حله فى نصف دقيقة وهى فى غبطة من ذلك كبيرة وسرور بين، والنظارة فى مثل سرورها وغبطتها

وحاولت مرارا ان تعقد عقدة فى حبل بنفسها ، ونجحت فى ذلك مرات ، الا أن طريقتها الى ذلك كان يعوزها التهذيب فقد كان فيها التواء وتنكب عن المقصد الأمم والغرض القريب . فكانت فى ذلك كالطفل الانسانى يبلغ ما يريد ولكن فى قليل من الرشاقة واللباقة

وميمى على صغرها قوية شديدة ، فانثى الشمبانزى عند استكمال نمائها تعدل فى القوة من الرجال الأشداء الثلاثة والاربعة . وصاحبتنا بلغت الثلث من نمائها الكامل ، وفى اذرعها دقة ، وفى طباعها رفق ، قد يخدعانك فى تقدير قوتها . جاء الشتاء فاحتبسوها فى صندوق من الخشب المتين فأخذت تهز حيطانه فى طلب الرياضة لبدنها ، وأعجبها صوته على أرض البدروم فزادت فى هزه بكل حولها ، فكان لا بد من تعزيز

جوانبه ، فلما لم ينفع ذلك علقوا الصندوق من السقف بسلسلة فأخذت تؤرجحه حتى دنا من مصباح الكهرباء المعلق فأخذت به ، فكان لابد من استدعاء الكهربائى لنقل موضعه . ونظرت فأبصرت عداد الغاز فزادت فى التأرجح حتى بلغت الحائط وأمسكت بالخزان فخلعته على متانته وثنت الانبوب ، وكان الى جانبه نار موقدة فحالت العناية دون انثقابه .

ولما أعجزتها حوائط الصندوق أخذت تدفع سقفه حتى انفتح ففرت منه . وأرادت ربة الدار أن تتلفن الى زوجها ولكن ميمى كانت قد عمدت الى التلفون فانتزعت أسلاكه ، وجاءت الى سيدتها تحتضنها اغتباطا وشكرا على انفكاكها . وذهبت الى المطبخ فوجدت الخادم تغسل الصحون فأرادت عونها وتنقلت



(ميمى فى يوم صائف)

بينها برفق غريب فلم ينكسر منها شىء . وكان التليفون أثناء ذلك قد أُصلح فجاء رب البيت أمين المتحف على عجل فخطب رضاء ميمى وأطعمها ألوانا مستطابة رضيت بعدها ان تنقاد وتتقيد بعد انطلاق

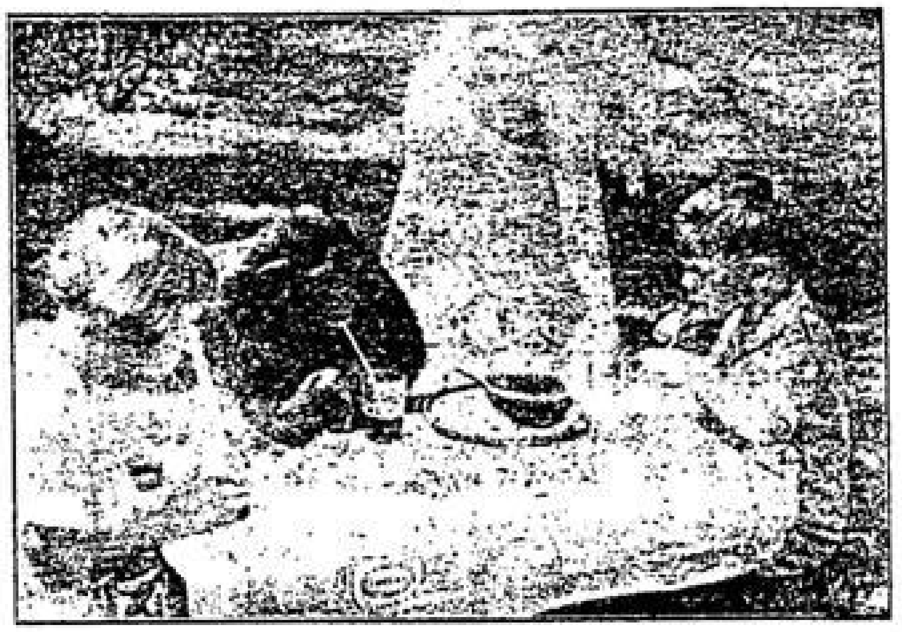
وكان لرب الدار أطفال ، وكانت لهم درّاجات من ذات العجلات الثلاث يركبونها فى ساحة البيت ، فكانت ميمى تركب مع أحدهم وتمسك بمقابض الدرّاجة فتوجهها يمنة ويسرة . وأرادت أن تركب الدراجة وحدها ولكن قصرت رجلاها عن بلوغ مواطىء الأقدام منها ، فاشترى لها رب الدار دراجة على قدّها وأجلسها عليها فأمسكت مقابضها بيديها وأمسكت كذلك مواطئها برجليها ، وهما كاليدين يقبضان على الأشياء ، ولكنها لم تدر فى بادىء الأمر كيف تدفع الدراجة بضغط موطىء واحد دون الآخر فى الآن الواحد ، ولكنها بالمران اليسير عرفت ذلك . وكانت تنسى فترفع قدميها الى المقبضين فكان لابد من ربطهما الى الموطئين ، ولكنها عافت ذلك فكانت تهوى باليد اليهما لتحل الرباط فيصيح بها رب الدار عاتبا فتقلع . وأراد أن يعوّدها الاستقامة فى السير ، فكان يحمل فى يده خوخة أو عنبة أو طعاما تراه مختارا ويقف به بعيدا ثم يلوّح لها به وهى على الدراجة ، فكانت فى بادىء الأمر تنزل عنها فيعتب عليها فتعود الى الركوب ، وكان همّها أن تصل الى الفاكهة من أقرب طريق فاستقام سيرها وكذلك طال . وأراد أن يعلمها كيف تنعطف فكان يلوح لها بالثمرة حتى اذا قاربته انزاح يمينا فتمر بدراجتها فى استقامة الى جانبه فلا تنال الثمرة فتصرخ وتدمدم لهذا الخداع ، ولم تفطن الى تحريك المقابض الى اليمين. فأتى بابنه يحركها لها فعرفت ذلك ، وحرصت على القوت الشهى المغرى فتعلمت كيف تميل

وكانت أحيانا يفوتها أن تنعطف فتصل بدراجتها الى مأزق كحائط أو ركن فتمد رجلها تدفع الحائط فتبعد عنها قليلا ، ثم تُسيّر الدراجة الى الأمام وهى تنعطف حتى تصل الى موضع أخلص من الحائط ، فتدفعها مرة أخرى فتبعد عنها وهكذا حتى تخلص من المأزق تماما وقد نفد صبرها . ولكنها تعلمت أن تنزل عن الدراجة فتحملها الى الخلاص ، فكانت تفعل ذلك فى سرعة البرق كلما تأزّقت وهى غاضبة

وكان يجتمع أطفال الجيران على دراجاتهم ويسيرون بها فى الطريق صفا يحملون الاعلام ويزأطون ويفرحون ، فتتقدمهم ميمى على دراجتها تتعرّف لهم المسالك وهى مثلهم

زائلة فرحة مغتبطة حتى لتحسبها منهم لولا مظهرها

وكان أمين المتحف يصطحبها معه الى مقر عمله فى سيارته فكانت تتشبث باصطحاب دراجتها فلا تنزل عند باب المتحف حتى تخف اليها فتركبها داخل المتحف . وكان من غرائبها انها كلما وصلت الى طبق الحديد الذى يغطى انابيب المجارى بأرض المتحف ترجلت حتما وتجر دراجتها عليه ثم تركبها بعد تخطيه مع أنه فى استواء الأرض لا يحسه الراكب. وظهر منها هذا الشذوذ عينه لما سارت فى الطابق الأعلى فانها كانت كلما صادفت فى بلاط الارض صفا أسود تخطته راجلة



(ميمى على المائدة)

وكانت تأكل مع صاحبها فى مطعم المتحف ظهرا فتسير اليه بالدراجة وتذهب الى مكانها دون تلكع فيهيجها صوت الآكلين وقرع الصحون وشميم الاطبخة فتصرخ فيبتهج لصراخها أصدقاؤها الكثيرون من حولها . وتدور بعينيها تطالب حاملات الطعام فاذا بصرت بهن هزت جسمها سرورا وتلفظت بالرضاء. فاذا استقر الطعام أمامها رفعت شوكة أو ملعقة من ذات نفسها ، وقد تخطىء فترفعها بيسارها فتنقلها الى يمينها ولكن بعد امساكها بفمها . وهى تأكل البسائط ، فتأكل الخبز والزبد واللبن والبطاطس والسبانخ والفول الأخضر والخس والطماطم والفواكه وشيئا من اللحم أحيانا ، واختصارا كل ما كان يأكله الناس . وهى تحب الحلوى كائنة ما كانت ساخنة أو مثلوجة واذا انتهت من الطعام بسطت منديلها فمسحت به وجهها

وتشرفت ميمى بدعوة من رئيس المتحف الأمريكى العام للتاريخ الطبيعى فى وليمة رسمية كبرى ، فذهبت فى سيارة الى بؤرة المدنية لأول مرة ، فاخترقت الطرقات العظيمة على أضوائها الشديدة وزينات مسارحها الباهرة ، فى جو ملىء بنغم الاوتار ونفخ المزمار وأدخنة السجائر والسيجار وأبواق السيارات وضجيج الحجيج من أهل اللباس الأنيق والزى الرشيق والذوق الرفيع . فأهاجت ميمى كل تلك المظاهر لاشك ، ولكنها صمتت كأنما تفكر فى موطنها الافريقى . وجاء أوان النزول من السيارة فخفت ميمى الى دراجتها وسارت بها عبر البهو الى قاعة الطعام الكبرى فاتخذت مجلسها بين الضيوف ، وجاءتها الصحفة بعد الصحفة ، فأكلت بأدب من كل لون . وجاء دور الكلام فأصغت كأنها تستمع للخطباء فلم تنبس بكلمة ولم تطرف بعين الا عند ما جاء المصورون يصورونها على ضوء المغنسيوم فانها أخذت تطرف لكل صورة حتى استتموا عشرا . وانتصف الليل فانفض الجمع وهم معجبون بميمى . وقال قائل منهم ما الى هذا الحد يبلغ الأطفال من الأدب والكمال

احمد زكى

البريد الأدبي

استقبال الكاتب الفرنسي جول رومان

في نادى القلم المصرى

احتفل نادى القلم المصرى فى مأدبته التى أقامها فى مساء الاربعاء الماضى باستقبال الكاتب الفرنسى النابه جول رومان ضيف مصر والقى الدكتور طه حسين باسم نادى القلم هذه الكلمة تحية للكاتب الكبير

كلمة الدكتور طه حسين

سيداتى وسادتى :

سمعتم منى فى المرة الماضية أنى لا أحب الخطب فى مثل هذه المجامع . وانى أوثر أن تكون مجامع حديث وسمر ، وأن تكون مجامع نستريح فيها من عناء ما نتكلف أثناء النهار من الجد والبحث والقراءة والكتابة ، وأوثر ان تكون هذه الاجتماعات كالساعات التى يظفر فيها الطلاب ، بالراحة أثناء النهار ، ولكنى مضطر هذه الليلة الى ان اتحدث اليكم قليلا ؛ وثقوا بأنى لن اطيل . والذى يسرنى ان اتحدث فيه اليكم ، وواثق أنكم جميعا تشاركوننى فيه هو ان النادى ـ نادى القلم الذى انشأناه ـ يظهر انه موفق ، وان التوفيق قد كتب له منذ اجتماعاته الاولى . فاذا ذكرتم اننا فى اجتماعنا الماضى قد استقبلنا كاتبا من أكبر الكتاب الانكليز هو مستر هتشنسن واذا لاحظتم اننا نستقبل الآن كاتبا من أكبر الكتاب الفرنسيين هو مسيو جول رومان عرفتم ووافقتمونى على ان نادينا من حقه ان يغتبط بهذا البدء السعيد

وانى لسعيد هذه الليلة بان أحيي ضيفنا تحية ملؤها الحب والاكبار . فالذين يقرأون كتبه لا يستطيعون إلا أن يتبينوا هذه العواطف القوية التى يثيرها فى نفوسهم ، وهى ليست الا عواطف محبة واكبار . فهو ليس من الكتاب الذين يبهرون الناس بحسن ألفاظهم وروعة صياغتهم وانما هو كاتب قبل كل شىء يصل الى قلب القارىء ويرفعه الى ارقى ما يستطيع ان يرقى الانسان اليه من المثل الاعلى والكمال

والذين سمعوا منكم محاضرتيه القيمتين فى الليسيه والجمعية الجغرافية لا يستطيعون الا أن يقدموا اليه تحية خالصة هى تحية العقل للعقل ، وتحية القلب للقلب ؛ فلاول مرة نستطيع ان نسمع فى مصر بين المحاضرين الذين يفدون الينا من الخارج ما يرفعنا من هذه الحياة اليومية الى حيث يستطيع العقل ان يستريح ، والذين سمعوه قد ذكروا أن المحاضرات ليست ميدانا للمسابقة فى السماع ؛ بل هى أيضا مكان يستطيع ان يلتقى فيه المفكرون بالمفكرين وان يتحدث فيه الانسان الى الانسان بما تعانيه الانسانية من الآلام

واذا كنا نستقبله ونحييه الآن فانما نستقبله ونحييه ككاتب من أكبر كتاب فرنسا الذين يمثلون العقل الفرنسى الحديث والادب الفرنسى الحديث ؛ ثم انى لا أستقبله بهذه الصفة وحدها وإنما استقبله باعتباره كاتبا انسانيا فيه كل مميزات العقل الفرنسى ، وكل مميزات الكتاب الفرنسيين واليونانيين القدماء . ثم هو لا يمثل ذلك كله ، وانما يمثل المثل الاعلى للانسانية كلها

فاذا حييته الآن فانما احيي فيه العقل الفرنسى من جهة والمثل الاعلى للادب الانسانى من جهة أخرى . . .

نهض مسيو جول رومان والقى الكلمة الآتية :

كلمة مسيو جول رومان

سيداتى وسادتى ، : واسمحوا لى أيضا أن أقول زملائى وإخوانى الاعزاء .

إنى لسعيد بأن امثل بينكم هذا المساء ؛ وأقول لكم كيف تأثرت بما حبانى به الكتاب المصريون من الرعاية والحفاوة ؛ وأعرب عن شكرى للكتاب المصريين الذين عنوا باستقبالى . وطبيعى أن يستحق هذا الشكر كتاب مصر . فالكتاب فى كل بلد هم أهل

الشكر . ثم إني لسعيد بان أكون الليلة فى قلب نادى القلم المصرى ، ذلك النادى الفتى ، بل أحدث مراكز القلم فى العالم سنا ، انني عضو قديم فى نادى القلم ، وقد اشتركت فى تاسيس النادى الفرنسى ، وكنت دائما مندوب فرنسا فى جميع مؤتمرات القلم الدولية ؛ ولقد شهدت أخيرا كل مايهدد مجمع القلم من الصعاب وخيبة الأمل ، حتى لقد خيل الينا أن مجمع القلم سيقضى نحبه . وكنا فى العام الماضى فى مؤتمر القلم الدولى بمدينة راجوزا نتخبط فى معترك من الآراء والأفكار المضطربة . اجل ، كاد مجمع القلم يذهب فى راجوزا ضحية المثل الأعلى . ولم تكن الآراء المتضاربة تضطرم حول مهنة القلم ذاتها ، ولكنها كانت آراء إنسانية هامة . رباه ، إن هذا الموت لم يقع ، ولكن حدث بتر ولعله بتر احتياطى ؛ وسوف يقوم المجمع من عثرته كرة أخرى ، وانى لانتهز هذه الفرصة لاقول لكم واذكركم بان العضوية فى مجمع القلم تحتم بعض التعهدات نحو الانسانية عامة ، أجل ، لسنا كتابا نتحدث عن مهنتنا فقط ، ولسنا نريد الاجتماع للحديث والسمر فقط . بل نحن أيضا رجال نخدم العقل والضمير ونعرف ماتفرضه علينا مهنتنا . وأبدع مافى مهنتنا أننا نقدم بعض الواجبات بعيداً عن مصالحنا الشخصية ، ولما كنا خدام العقل فاننا نتضافر على على اداء الواجب ولا نعبأ بالأعتبارات السياسية ولا نخضع لحزب من الاحزاب ، بل نحتفظ بالحق والواجب ولا نخضع لأى نظام سياسى لايعترف بحق العقل والذهن ، وكلما هدد هذا المثل الأعلى وجب على أندية القلم فى العالم كله أن تثور على هذا الوعيد . إن سلطتنا ليست وهمية ؛ ولست أبالغ فأقول إننا نستطيع أن نقف البحر ؛ ولكنى أذكر لكم شيئا مما حدث فى راجوزا فقد تحدثنا عن سياسة الحكومة الالمانية فى اضطهاد رجال الفكر ، وتحدثنا من هذه المدينة الصغيرة بالتليفون مع المسئولين فى المانيا عدة ساعات ، واستطعنا أن نحمل الحكومة الالمانية على أن تخفف مسلكها نوعا ما وأن تمنع بعض الاعتداء على الفكر

سيداتى وسادتى : لست أعلم ما يخبىء المستقبل ، فانا نخاف كثيراً ونؤمل كثيراً ، ولكنى لست متفائلا ، فانا لم نخرج بعد من غمار الأزمة ونحن فى غمر الصعاب ، ولكنى أعتقد وأكرر أن أعظم جريمة يرتكبها خدام العقل هى أن يعتقدوا فى القدر الذى لايخدم العقل ، أجل إن أعظم جريمة نرتكبها هى أن ننحنى أمام العاصفة فالخطر الذى نواجهه هو خطر انسانى من عمل الانسان ، اراده ودبره الانسان ، فنحن نستطيع أن نقاوم مقاومة انسانيـــة ، ويجب أن يعتمد علينا فى كفاح هذه المصائب التى تهدد الانسانية وفينا نحن رجال الفكر والقلم تتمثل تلك القوة التى تحمى الأنسانية من التدهور النهائى

وانى لأرفع قدحى نخب مصر التى استقبلتنى ، ونخب فرنسا التى أمثلها كمندوب متواضع ؛ بل ونخب جول رومان .

الاكاديمية الفرنسية والنساء

كانت وزارة المعارف الفرنسية قد رشحت الكاتبة المعروفة مدام كوليت عضوا بالاكاديمية الفرنسية ، ولكن بعض المغرضين لم ينظروا الى هذا الترشيح بعين الارتياح ؛ وحملوا على الفكرة حملات شعواء فى الصحف والمجلات الادبية مستنكرين منح مقاعد الاكاديمية للنساء فى الوقت الذى يضن بهافيه على نوابغ الكتاب والشعراء امثال : جيد وستراتى وجوليان بندو وغيرهم

وقد انضم الى هؤلاء الساخطين بعض الشيوخ من اعضاء الاكاديمية ممن لايزالون يرون ان المرأة الفرنسية لم تصلح بعد للاشتراك فى الهيئات النيابية او المجامع العلمية والأدبية الرسمية .

ازاء هذه المعارضة القوية ، عدلت وزارة المعارف عن رأيها وقررت اخيرا منح هذا المقعد لفرنسوا موردياك الناقد والكاتب المسرحى المشهور ، والذى سبق ان أخرجت له فى مصر رواية « المسحور » على مسرح الاوبرا الملكية فى عام ١٩٢٤ ورواية « بلانشيت » على مسرح رمسيس .

وقد فكرت بعض الاديبات الفرنسيات فى تأسيس أكاديمية للآداب والفنون تكون خاصة بالنساء فقط ، وسوف يفتح باب الاشتراك فيها لجميع الكاتبات والصحفيات من الجنس اللطيف بدون تمييز بين الجنسيات والاديان

انتحار روائية انجليزية

اشتهرت دروثى ادوارد الروائية الانجليزية بأقاصيصها الصغيرة التى كانت تودعها نظرياتها الخاصة عن الحياة العصرية ، ونالت من وراء ذلك شهرة أدبية واسعة ، خاصة فى الولايات المتحدة ، وطبع

بعض رواياتها أكثر من مائة طبعة وذلك وهى لم تتجاوز العقد الثالث من العمر.

وقد وجدت جثتها فى صباح ذات يوم ملقاة الى جانب السكة الحديد بالقرب من كيارفلى بانجلترا ، ويستدل من التحريات التى أجراها بوليس سكوتلانديارد على أن الكاتبة بعد أن زارت لندن ، وحضرت بضع حفلات موسيقية استقلت القطار حيث عثر على جثتها فى صبيحة اليوم التالى ولا يعلم ان كانت قد تعمدت الانتحار أم سقطت أثناء اجتيازها عربات القطار فى الليل.

وتقول مجلة « جون أوف لندن » أن رواية دروثى الاخيرة « نفسية فى مرقص » قد ترجمت الى معظم اللغات الحية وبلغ ما بيع منها زهاء النصف مليون نسخة !

الكاتب النمسوى هرمان بير H. Baehr

توفى أخيرا الكاتب النمسوى الكبير هرمان بير فى الحادية والسبعين من عمره ! ولد فى لنز سنة ١٨٦٣ ، ودرس فى فينا وبرلين . وكان « بار » منذ أربعين عاما من زعماء الأدب الالمانى الحديث ؛ وكان بالأخص من مؤسسى الحركة الادبية التى عرفت فى أواخر القرن الماضى باسم « النمسا الفتاة » ، وكان من زعمائها مع بار ، ارثر شتنزلر وفون هوفمانشتال . وظهر بير فى مستهل حياته الادبية بالتأليف المسرحى واختص منه بناحية « الكوميديا » ؛ ومثلت رواياته فى أشهر مسارح فينا ولاقت فى أوائل هذا القرن شهرة واسعة ، ثم اشتغل بار بالنقد الادبى والصحافة . واشترك مدى أعوام فى تحرير جريدة « دى تسايت » (الوقت) النمسوية ثم فى جريدة « نويه فينر جورنال » ؛ وكان يختص بكتابة النقد الادبى والتاريخ . وتزوج بير من الفنانة الشهيرة أنا ملدنبورج ، وهى موسيقية ومغنية بارعة اشتهرت فى حفلات سالزبورج برائع فنها ورخيم صوتها . ولما انتقلت أنا ملدنبورج الى ميونيخ لتعمل فى مسارحها تبعها زوجها وغادر موطنه ، وأقام معها فى ميونيخ وقضى فيها أعوامه الأخيرة حتى توفى

ومن أشهر قطعه التمثيلية « الاتفاق » (١٩١١) وفيها يعالج فكرة اجتماعية هى تسامح الزوج المنبوذ نحو خيانة زوجته واعترافه بحبها لآخر كوسيلة لاستثارة عطفها واستعادة ودها « والغنى والعاقل » (١٩١٢) وفيها يعالج فكرة الحكمة وهل هى اتباع الواجب أم اتباع الهوى . ومن أشهر رواياته « نماذج للحب » (١٩٢٩)

حق المؤرخ فى التصوير والتفسير

هل يحق للمؤرخ أن يكون حراً فى تصويره وتقديره للشخصيات المعاصرة التى يعرض لها ؟ هذه مسألة طرحت أخيرا على القضاء الفرنسى لمناسبة ظهور كتاب جديد للمؤرخ الفرنسى الشهير « رايمون ريكولى » عن « الجنرال جوفر » القائد العام للجيش الفرنسى فى أوائل الحرب الكبرى ، وقد تناول المؤرخ حياة الجنرال جوفر والحوادث العسكرية التى خاضها وعلق عليها بآرائه وتقديراته . فرأى القائد لانرزاك ولد الجنرال جوفر ان فى الصورة التى يقدمها مسيو ريكولى ، وفى بعض آرائه وتعليقاته اخطاء ومآخذ تعتبر سبا لذكرى والده ؛ ورفع أمام محكمة السين قضية مدنية يطالب فيها مسيو ريكولى بالتعويضات .

وقد أثارت هذه القضية اهتماما كبيرا . وانتهت بعد مرافعات ومذكرات طويلة بانصاف التاريخ والمؤرخ . ومن رأى المحكمة أن مسيو ريكولى لم يتعد حقوق المؤرخ وانه لم ينشر وقائع مزيفة أو مشوهة ، وانه فى تقديره وتعليقه لم يتجاوز ما هو حق للمؤرخ فى عرض التاريخ وكتابته . ولهذا رفضت قضية القائد لانرزاك .

القصص

قصة في رسالة

سيدى الطبيب :

إن المصادفات المشئومة والحظوظ السيئة ،ساقتك الى وعرفتك بى ، ما كنت أظن أن امرا تافها ستكون نتيجته وخيمة الى هذا الحد !

قبل أيام وقفت عجلة كبيرة مملوءة بالأثاث أمام الدار المواجهة لدارنا ؛ فرغبت أن أعرف وأنا فى نافذتى أولئك الذين سيكونون جيراننا فى هذا الصيف ، فرأيتك عارى الرأس تأمر وتنهى وتساعد الخدم كلما قضت الحاجة بذلك ؛ ثم رفعت رأسك نحو نوافذ غرفتى : وكانت - ياللأسف - نافذتى مفتوحة ، فرأيتنى - وياليتك لم ترنى - اجل ،رأيتنى وأنا أبتسم ، وكنت السبب فى تلك الابتسامة ، لأن انهماكك فى تفريغ العجلة وأوامرك التى لا حد لها ولا نهاية كانت مضحكة جداً . فالذنب إذاً ذنبك وتبعته عائدة عليك . ثم رأيتنى مرة ثانية وأنت ترسل ستائر نوافذ بيتك ، فى تلك الأثناء وجهت بصرك نحو نوافذنا وابتسمت لى فهذا ذنب ثان كان منك : كنت أظن أن هذه الأشياء تافهة فى ذاتها وأنها لن تبقى راسخة فى مخيلتك عالقة بذهنك ، ولكنى فى ملاقاتى الثالثة علمت أنك أعطيت ذلك من الاهتمام شيئاً كثيراً .

أظن أن ذلك كان بعد عشرة أيام ، خرجت مع والدتى من البيت فرأيتك مقبلا من الشارع الذى أمامنا ، ولكنك فى هذه المرة لم تبتسم لى - وياليتك ابتسمت - ولو فعلت ذلك لما اكترثت بل كنت أعدك ككثير من الرجال الذين يبتسمون لكل أنثى يصادفونها فى طريق . انك لم تبتسم بل اصفر وجهك ، وفى أقل من ثانية لم يبق فيه أثر للدم كأنه انسحب ليجتمع فى قلبك فقط . ماهو سبب ذلك ؟ ولماذا اصفر وجهك ؟ كان يجب أن تلحظ أن حالة كهذه أمام الفتيات توجب لهن القلق وتسبب الاضطراب ، وهذا الذنب الثالث أوجهه اليك أيضا ، بعد أن مررت قالت والدتى : « أليس هذا الرجل هو الطبيب الذى سكن أمامنا ؟ » ولا أدرى لماذا كذبت عليها وقلت « لا أعرف » مع أنى كنت أعرف جيداً أنك فى هذا الصيف نزيل الدار التى امامنا .

وكانت مقابلتى الرابعة لك فى النزهة ، وفى هذه المرة لم تبخل بالابتسام فقط بل بخلت بالنظر أيضا ، يالله ما أشد اصفرار وجهك إذ ذاك ! كلما ذكرت حالتك تلك ، شعرت بحس غريب ، وألم لا أدرى مصدره ، فانى لم أفعل شيئاً يوجب اضطرابك ولا أرى على أدنى تبعة يمكن أن يتحملها وجدانى .

فقررت بعد ذلك أن أبالغ فى الاحتياط ، وأشتد فى الحذر وبخاصة منك ، لأن ابتسامة عن غير قصد ولا رأى أخذت موقعاً مهماً أرعبنى ، فقررت أنه يجب أن يقف الأمر عند هذا الحد .

ولكنك لم تقف عند هذا الحد ،ولم تلحظ أن الفتاة التى ابتسمت لك عن غير قصد ، وابتسمت لها لم تكن إلا طفلة لا شابة ، وانها تود الآن أن تصلح خطأها .

كلما قرع جرس الباب ، وكلما حدثت ضوضاء أمام الباب برز خيالك من وراء زجاج النوافذ ، لقد طرأ عليك وعلى أحوالك تبدل هائل خلال هذه الخمسة عشر يوما ، كنت ترى مطرقا حزينا عميق الافتكار ، تمشى بطيئاً جداً كأن المشى السريع سيقطع سلسلة أفكارك ، تقف أمام داركم وتلمس زر الجرس الكهربائى وتلتفت نحو نوافذنا ،وتنظر نظرة استرحام تدل على أن كل ذلك كان من تلك الطفلة البريئة صاحبة تلك الابتسامة .

ثم مرضت ، وأخذ القدر يمشى بك نحو الهاوية التى كنت أحترس منها ، لما علمت أن والدتى تود أن ترسل اليك لتعودنى مانعت وطلبت طبيبا غيرك ، ولكنى غلبت على أمرى ، ولو رأيتنى حينذاك لعلمت جيداً كيف كنت أخشاك . لما دخلت

على لفحصى كنت مضطربا أصفر الوجه ، وكل ما كنت أتمناه أن يجس نبضك جاس حينما أمسكت أنت يدى لتعد نبضى . . . . كنت تسعى لأخفاء اضطرابك وتخلط كلامك بالنكت اللطيفة ، وتظهر عدم الاكتراث ، ولكن كان تكلفك ظاهرا وكان مثلك فى ذلك كمثل المغنى الذى يغنى أنشودته على غير توقيعها .

كنت فى كل مرة تدخل على عائدا أكثر اضطرابا وأشد يأسا وتألما من المرة السابقة ، وأرى ورد خديك قد صار بهاراً كأننى كلما تقدمت نحو الصحة تقدمت أنت نحو المرض ، وأخيرا بعد أن انتهى المرض ومضى دور النقاهة قلت لى بلهجة مملوءة بالحزن العميق الشامل جميع انحاء فؤادك « انك لست بحاجة بعد اليوم إلى المعالجة » وكانت نغمة صوتك تحمل معنى « إننى أنا المحتاج إلى العلاج » .

إن تلك العلاقات التافهة البريئة التى بيننا كان يجب أن تقف عند هذا الحد ، ولكنك أنت أبيت إلا أن تسير فى هذا الطريق وأنت لا تعلم أتصل إلى نهايته أم لا ؟ . ان تبعة ما فعلته بعد رؤيتك لى وأنا مريضة عائدة عليك كما كانت عليك تبعة الذنوب التى كانت قبل المرض .

لقد شاهدتك البارحة وأنت جالس على كرسى فى غرفتك تراقب نافذتى وأنت مشغول عن كل ما حولك إلا عن نافذتى كأن عينيك لا تشاهدان إلا ما وراء زجاجها ، فسمعت صوتا ساعدنى على فهمه سكون الليل وهدوءه ، سمعت صوت زوجك تناديك قائلة « لماذا لم تدخل إلى الغرفة ؟ » فأجبتها بحدة جوابا ظهر لى منه انك تألمت لهذا السؤال الذى قطع تلك اللذة التى كنت تشعر بها وأنت منفرد عن بقية أفراد الأسرة ، قلت لها « إذا كنت تريدين النوم فنامى ، إنى أود أن أبقى فى الشرفة » .

لا أدرى لماذا أكتب اليك كل هذا ؟ وربما كان ذلك لتبرئة نفسى من تبعة ما كان ، إنى لا أدرى كيف عزمت وقر رأيى على كتابة هذه الرسالة ، ولست أدرى ما الذى يمنعنى من تمزيق تلك الورقة التى أحررها اليك ؟ أنت ترى انى لم أجد جوابا لهذه الاسئلة ، ولكنى أرى انى تابعة لحس خفى يسوقنى لارسال هذا الكتاب اليك .

تصور فتاة نشأت بين دلال الأم وعطف الأب ، تقضى أكثر ليلها فى مكتبة والدها تتسلى بقراءة الحكايات ، وأكثر أيامها تمضى فى السينما تبكى من الفواجع التى تصورها اللوحة الفضية ، لاهم لها ولا غم ، ولكنها تتألم لألم الناس وتحزن لحزنهم . ثم تذهب الى مخزن الازياء فاذا عادت بما تحب قدمت الى والدها أوراق الحساب ذات الارقام الضخمة . لم تفكر فى حياتها كلها بشىء غير هذا ، ولم يطرأ على حياتها طارىء الا أن شابا ابتسمت له وهو يأمر وينهى خدمه وهم ينقلون الاثاث الى المنزل الذى امام دارها ، ثم ابتسم لها وهو يرسل سجف نوافذ المنزل ، أليس الأمر حتى الآن طبيعيا ؟ ولكن هذا الشاب لم يتلق هذا الابتسام كأمر طبيعى ، بل ظل يراقب النافذة وهو مضطرب حائر ، ثم بعد كل ذلك يرمى داخل مظلتها المغلقة وهو يمر من جانبها كتابا من غير أن تشعر بذلك والدتها التى بجانبها ، ان هذه الاشياء أخذت تخرج عن الحد الطبيعى ، لذلك أصبحت الفتاة الشابة ترى أن الضحك ليس أمرا طبيعيا

ما أشأم تلك المصادفات التى القتك فى طريقى ، وما أضل الافكار التى أوحت اليك وضع الورقة فى مظلتى ؟ ماهو الشىء الذى خولك حق رمى ورقة الى فتاة لم تر ولو فى المنام من يؤذيها أو يلعب بشعورها ؟ .

كنت حتى اللحظة أشعر نحوك بشىء لا أدرى ماذا أسميه ؟ أشعر بشىء شبيه بالرحمة والعطف ، ولكنى منذ سمعت صوت الورقة وهى تقع فى مظلتى نفرت منك نفوراً شديداً

لقد شعرت بحس قوى يدفعنى الى أن أفتح مظلتى وأرمى تلك الورقة فى الارض ، ولكنى لا أدرى لماذا لم أنفذ هذا العزم ؟ لقد تغلب على حب الاطلاع ، وأردت أن أعلم ما الذى كتبته لى فى كتابك . هل قدرت عظم ذنبك وأنت ترمى ورقتك فى مظلتى ؟ هل قدرت حرج موقفى فى تلك الدقيقة ؟ وهل قدرت أنها جناية غير قابلة للغفران ؟

إن ما يشع فى عينيك من النجابة وما يقرأ فيهما من آثار العفة يشهد بأنك كنت تحت تأثير غفلة خضعت لها عن غير ارادة منك .

حينما بلغت البيت ذهبت توا الى غرفتى وفتحت رسالتك فلم فيها ولا كلمة واحدة تثقل على سمع فتاة مثلى .

فرأيى السابق فيك كان صحيحا . لقد أثبت لى ذلك كتابك ذو الصحائف الأربع الذى لا يحتوى على معنى تفيده جملة مركبة من أربع كلمات ، فما الغاية إذن من كتابته الى ؟ هل أظهرت لك رغبتى فى الاطلاع على أنك لست سعيداً فى حياتك ؟ وهل طلبت منك أن تكتب الى ذلك فى صحائف أربع ؟ قرأت كتابك المرة تلو المرة ولم أفهم له

غاية . فقلت فى نفسى : إنه يعلن لى حبه ، ولكن زوجته ؟ .. أولاده ؟ ..

فى مساء أحد الأيام كان الأولاد يلعبون أمام الدار ، فشاهدت ابنتك الصغيرة ذات الوجه الجميل والشعر الاشقر المحيط بوجهها احاطة الهالة بالقمر تصفق طربا وتصيح : هاهوذا والدى قد جاء وتركض نحوك ، فاذا أنت تقطب حاجبيك وتأمرها بالابتعاد عنك ، وترفع عينيك نحو نافذتى ، فعادت الصغيرة كئيبة حزينة ، لايقدر يراعى أن يصف لك نفورى منك وكرهى لك فى تلك الدقيقة ، اذن أنت فى شغل بى حتى عن أولادك فأنت تنظر اليهم بقسوة وتعاملهم معاملة سيئة ؟ إن حالتك هذه كافية لتشرح لى الآلام التى سببتها لتلك الاسرة التى أنت ربها .

قلت فى نفسى مادمت سببا فى نفوره من زوجته وأولاده فالواجب ان تقف هذه المسألة عند هذا الحد . أخذت كتابك حينذاك وقرأته فى امعان مرة اخرى ، فخطر ببالى ان ارسله الى زوجتك ، ولكنى عدلت وانقلب ذلك النفور الذى كنت أشعر به منذ لحظة الى رحمة من أعماق قلبى .

وفى صباح اليوم الثانى بينما انا خارجة من البيت ، ولم أكن اسدلت النقاب على وجهى شاهدتك تنزل مسرعا من الدرج فالتقت العين بالعين ، خانتك قواك عند ذلك ، ولولا استنادك الى الجدار لوقعت على الارض لامحالة . فشعرت أن مهمتى تجاه هذه الحال شاقة جداً وانه يجب ان اشفق عليك وعلى زوجك وأولادك لا أن احقد عليك .

أعترف لك انك بارع جداً فى ارسال الرسائل ، انى بعد أن قرأت رسالتك الأخيرة التى وجدتها بين زجاج نافذتى وبين القفص الخشبى ، تلك الرسالة التى حتى الآن لم اكتشف كيفية وصولها الى ولم اعلم بأية طريقة وضعت ؛ شعرت بأن دافعا اهم من السابق يدفعنى للكتابة اليك ، لا لأجلك بل لأجل تخليص زوجك من مصيبة محتملة الوقوع ، ولمنع هذه الاضحوكة من ان تتحول الى فاجعة كبرى .

فى كتابك هذا تبحث عنى وتعلمنى أن مصادفتك لى كانت سببا فى شقائك ، وانك تحبنى حبا بغير امل ، وانى كدرت حلو معيشتكم وأنك حتى الآن كنت سعيداً بحياتك مع زوجك وأولادك ، وان حبك لى حول نعيم حياتك فى البيت الى جحيم ، وأنك ستكون ضحية هذه الصدفة ، الى آخر ما فى كتابك من كلمات . . . . .

انى واثقة كل الثقة من أنك الآن خجل بكل ما تحويه هذه الكلمة من معنى لكتابتك هذه الجمل وهذه العبارات ، تصور أنك ستترك زوجك أرملة ، وأولادك يتامى من أجل ابتسامة من فتاة غرة ، وفى هذا منتهى الغرابة . . . .

أيقنت الآن انى سأكون سبب فاجعة كبرى ، فالواجب يقضى على أن أقف امام تلك الكارثة ، وهو الذى اضطرنى أن التجىء الى هذه الوسيلة وهى الكتابة اليك ، انت تعلم يقينا انها جرأة من فتاة مثلى ، ولكن . . . ولكن الوجدان . . . . .

تبحث أيضاً فى كتابك عن اشياء كثيرة كلها متقاربة وتقول : ان حبك لى جعل بينك وبين زوجك واولادك فراغاً لايسده شىء ؛ وانك الآن بعيد عنهم بعد الارض عن السماء ، وان كان جسمك قريباً منهم متصلا بهم ، وانك حاضر الجسم بينهم لكنك غائب القلب والعقل عنهم ؛ وان كل ذلك سيكون سببا لفرارك من هذه الحياة التى أصبحت فى نظرك جحيما .

أنا اعلم انك تبحث لى عن هذه الاشياء كلها ، ولست اعلم لذلك سببا ، واذا كان الأمر كما ذكرت فى كتابك ، فالفرار الفرار منى ...

إن حياتك فى هذين الشهرين الأخيرين تمر من أمامى كما تمر الصور على اللوحة الفضية امام جمهور النظارة فامتع النظر بها فأرى ان الشقاء فى حياتك سرى الى حياتى ايضا ، وتلونت حياتى بلون حياتكم الأسود ، لقد كنت سعيدة انا ايضاً حتى قبل شهرين من الزمن ، لقد كنت مرحة مرح الصبا والشباب ، وليتك تعلم مقدار حزنى وألمى وبؤسى ، لأننى كنت سببا فى شقائكم اذن انا من حيث لاادرى ولاأشعر كدرت صفو حياتكم ، وبدلت سرورها شقاء ، وقلبت نعيمها الى جحيم ، وصفاءها الى كدر وبهجتها الى عبوس . آه ماتعسك ايتها الزوجة ؟ ليت شعرى كم من الدموع ذرفت ، ومن الزفرات صعدت بسببى ؟ ..

أسائل نفسى عن الاسباب التى اضطرتك الى المجىء هنا ، وساقتك الى السكنى فى هذا المصيف ؛ فتقول لى ربما كان سبب ذلك ان هذه الزوجة مصابة بفقر دم ، اوأحد الأطفال مبتلى بمرض ثقيل ، فاضطر ذلك الاسرة كلها الى نزول هذا المكان طلباً للعافية وتخلصاً من الاسقام ، فاذا كان الأمر كذلك فقد حضرتم هذا المكان فى طلب الصحة والعافية ففقدتم معهما السعادة العائلية ،

نعم ويااللاسف ان قطرة من السم وقعت صدفة واتفاقاً فى حياتكم السعيدة فسممتها وجعلتها جحيما ...

اتمثلك في بيتك مطرقا حزينا غريقاً فى بحر الافكار تسألك زوجتك « مابك أيها الرفيق ؟ وبماذا تفكر؟» فلا تجيبها بل تبقى فى حزنك واكتئابك ، ثم تتبرم من كثرة الاسئلة وتؤلم زوجتك ببضع كلمات فينكسر قلبها وتبكى تلك الليلة فى فراشها بكاء مراً ، تبكى بصوت خافت خشية ان تسمعها ، ولكنك تشعر بذلك وتشفق عليها ، فتقبلها قبلة تنسيها كل مابها من الم وهم وتذهلها عن كل ما كان .

ولكن بعد ذلك يعود اليك ضجرك وحزنك ، فتعامل زوجك واولادك بقسوة وخشونة ما كنت تعاملهم بهما من قبل .

ويخطر ببالى اشياء أخرى يقشعر بدنى لهولها وسوء أثرها فى زوجك واولادك ، اذا كان الامر كذلك فالفرار الفرار منى...

أنتم أتيتم إلى هـــذا المصيف لتجدوا فيه الصحة والسعادة ، ولكنكم لم تجدوا غير العلة والشقاء ، فالفرار الفرار من هنا . . .

لقد جمعتنى المصادفة بزوجك ، فليتك تعلم مقدار ما كان لها فى قلبى من محبة ، وفى نفسى من مكانة ، كلما تمثل لى وجهها الشاحب ومحياها الجميل المرسومة عليه آثار الحزن العميق ؛ تألمت لها وأشفقت عليها كأنها أختى ، فيالله من سوء ما جنيت عليها وهول ما سقت اليها من العذاب على غير علم منى بذلك ولا رغبة فيه ولا قصد اليه .

أتمثلها واقفة أمامك مع أولادها تنظر اليك نظرة الاسترحام والاستعطاف والدموع ملء محاجرها ، ولسان حالها يقول : « لماذا أدرت عنا وجهك وطويت دوننا كشحك ؟ لماذا تغير قلبك علينا منذ شهرين ؟ » .

أكتب اليك ولا أدرى كيف أرسل اليك هذه الرسالة ، ولا أعلم ما الذى سيكون من أثرها فى نفسك ؟ يخيل إلى أنها ستصل اليك وزوجك نائمة فى فراشها وحولها أطفالها يغطون فى نومهم ، فاذا وقعت فى يدك جلست الى منضدتك ونشرت الكتاب عليها وجعلت رأسك بين كفيك ثم أخذت تقرؤها . . ولعلك لاتنتهى من قراءة الصفحة الأولى حتى تشعر بأن غشاء الغفلة الذى يغشى عينيك اخذ ينقشع عنهما ، وتعلم يقيناً انك كنت تابعا لحس غير ثابت الأساس ، أجل ! كنت تابعاً لذلك الحس محاطاً به مغلوبا له خاضعا لسلطانه مشغولا به عن كل مايجب عليك ، كانك كنت جاهلا حتى الآن ان من العيب على المرء ان يسير وراء عواطفه وان ينقاد لها فتسوقه الى المهاوى .

فى تلك اللحظة تشعر انك لا تزال تحب زوجك واولادك فتتحرك الشفقة فى قلبك وتترك العنان لدموعك فتجرى . . أجل أترك لها العنان تسيل فوق تلك الورقة التى كلفت أن تخبرك بانتهاء تلك الرؤيا المخيفة ...

آه . إنى لا أجد ملجأ يلجأ اليه المرء لتطهير قلبه مثل دموعه ، يخيل إلى أنك الآن تبكى ، أليس كذلك ؟ إيك ماساعدتك الدموع وأسعفتك الجفون . . . وغداً ، أجل ! غداً ستأخذ أسرتك وتهرب منى . أجل خذها ثم الفرار الفرار .

والآن أتمثلك وقــــد نهضت عن كرسيك مطمئن القلب ، وقد أخذت الورقة بيدك وأحرقتها بنار الشمعة المضاءة أمامك ، ثم مشيت على رؤوس أصابع رجليك ، وخرجت من غرفتك نحو غرفة زوجك وأولادك ، وأنت حذر كل الحذر أن توقظهم بوقع قدميك ، ثم طبعت قبلة طويلة على جبين كل من زوجتك وإبنك وإبنتك .

كن على ثقة ان فى الدار التى أمامكم قلبا يتمنى لكم السعادة من الصميم ، ويطلب لتلك القبلة الدوام الى ابد الابد . اجل ! ان هناك قلبا يخفق طربا لرجوع السعادة الى عشكم .

حلب — فتاة الفرات

العالم المسرحي والسينمائي

حول أزمة المسرح

بين مديري الفرق والممثلين

لناقد «الرسالة» الفني

تفيض منذ أسابيع انهار الصحف من يومية واسبوعية بالحديث عن المسرح المصري ومشكلته القائمة من سنوات لمحاولة انهاضه وبعثه من جديد، وخلقه خلقا آخر يقيل من عثرته ويبعث فيه دم الحياة والقوة، ويرفعه من هذه الهوة العميقة، وقد رددت الصحف صدى الشكوى الحارة مما آلت اليه حالة المسرح خاصة في هذا الموسم اذ اغلقت اكثر دور المسارح أبوابها وفض مديرو الفرق فرقهم التمثيلية بعد عمل لم يدم الا اسابيع. وكان الموسم يمتد كل عام اشهرا طويلة وتشتد فيه المنافسة وتنشط الحركة، وتمثل عشرات الروايات بين مترجمة او مؤلفة ويقبل الجمهور على الملاعب مرحبا بما يبذل بين يديه من جهد وما يرى من آثار فنية لها قيمتها ولها خطرها.

كنا وكان الحال على ما ذكرنا حتى سنتين او ثلاث فخمدت هذه الجذوة، وفتر هذا النشاط، وانصرفت الجماهير بعضها الى صناديق الليل كما يسمونها في باريس، وبعضها الى دور السينما، وطالعنا هذا الموسم بما طالعنا به من الكساد وسوء الحال وغلق دور التمثيل ابوابها ولما تكد تبتدىء العمل.

ولم يفت لجنة تشجيع التمثيل في وزارة المعارف ان تتنبه الى ما وصلت اليه حال المسرح فاسرعت بعقد جلساتها ونشطت للعمل نشاطا ملحوظا، وارسلت لمديري الفرق جميعا تسألهم رأيهم فيما يعيد على المسرح حياته ونهضته. وكان أن اقترح تاليف فرقة من جميع المشتغلين بالمسرح تمدها الوزارة بالاعانة وتشد ازرها ويتكاتف الجميع على العمل معا في سبيل غاية واحدة الا وهي انتشال المسرح والنهوض به.

قبل مديرو الفرق — أو أغلبهم على الأصح — هذا الاقتراح ورحبوا به، وألفت لجنة فرعية من أعضاء لجنة تشجيع التمثيل لتضع بالاتفاق مع مديري الفرق تفاصيل هـذا المشروع للبدء في تنفيذه في الحال. وعقدت اجتماعات عدة لذلك، تبودل فيها كثير من الاقتراحات والآراء، وظن في وقت من الأوقات أن الأمور تسير سيرها الطبيعي، وأن المشروع أوشك على التمام. ولكن ظهر أخيراً أن مديري الفرق يعجزون اللجنة بطلباتهم، وأن قبولهم المشروع لم يكن الا تظاهراً منهم بالتمشي مع اللجنة في الاقتراح الذي لقي عندها ترحيبا وتشجيعاً على أن يقفوا في منتصف الطريق ويعودوا إلى طلباتهم الاولى من أن توزع الاعانة عليهم كما جرت العادة كل سنة دون قيد أو شرط

فشل مشروع اللجنة اذا ازاء هذا التشبث أو قل هذا التعنت من مديري الفرق الذين رفضوا التعاون معها، ووقفت اللجنة حيرى واذا بفريق كبير من ممثلي المسرح المشهود لهم بالكفاءة والمقدرة يؤلفون من بينهم اتحادا ويتقدمون للجنة يعلنون أنهم يرحبون بمشروعها، واذا كان مديرو الفرق قد ابوا التعاون معها على استعداد للعمل ولا ينقصهم الا أن تعينهم اللجنة وتمدهم بالمال.

كان هذا هو الموقف الطبيعي الذي لا يمكن أن يكون للممثلين غيره ومديرو الفرق قوم لديهم من المال ما يقوم بالأود ويسد الحاجة، ولأغلبهم من موارد العيش غير العمل في المسرح ما يجعلهم لا يحسون ضيقا إن لم يكفل لهم كثيرا من الرفاهية والنعيم؛ ولكن الممثلين حالهم يختلف عن هذا كل الاختلاف فمهنتهم هي كل شيء لهم؛ ومنها موردهم الوحيد الذي يعيشون عليه هم واسرهم ومن يلوذ بهم من الاهل والزوج والولد. لذلك كان من الطبيعي جدا وقد تخلف مديرو الفرق عن العمل أن يتقدم الممثلون؛ والاولون؛ والآخرون المجموع والكثرة، ورحبت اللجنة بهـذا الاتحاد ووعدته بالمعونة وشد

الأزر إذا توفرت فيه أشياء حددتها اللجنة كما طلبت من أفراده ضمن ما طلبت أن يتخذوا لهم مسرحا خاصا للعمل عليه .

ويسرنا أن أفراد هذا الاتحاد حققوا كثيراً مما طلبته اللجنة وانهم يجدون فى تحقيق الباقى مما لم تسعف به الظروف المؤاتية وضيق الوقت ، واتصالهم باللجنة مستمر وقد يكتب لمشروعهم النجاح والتوفيق وهو ما نؤمله ونرجوه مخلصين .

على أن الصحف طالعتنا هذا الأسبوع بنبأ اتحاد جديد ألفه فريق آخر من الممثلين يقولون أن عددهم يبلغ المائة أو يزيد . وتقدم الاتحاد الجديد الى اللجنة بما تقدم به اتحاد الذى سبقه وماندرى ماسيكون موقف اللجنة حياله ، ولكن ظروف تكوين هذا الاتحاد وجملة عارضة جاءت فى نشرته الاولى وبعض ما أحاطه من ملابسات لاتخفى على الاعين المتنبهة الفاحصة ، كل هذا يجعل الاتحاد الجديد مشكوكا فى جديته وفى الغرض الذى قام من أجله ، فاذا قلنا أنه تألف للكيد للاتحاد الأول ، وأن يد مديرى الفرق ليست غريبة عنه ، لعلنا لا نكون مخطئين ، ولعلنا لا نكون قد جاوزنا كثيرا حقيقة الامر والسر فيه .

على أن هذا لا يهمنا فى الواقع كثيرا وأن كان يؤلمنا ان نرى زملاء بعضهم حربا على بعض ، ولو حسنت النيات وتصافت النفوس لانضم أفراد الاتحاد الثانى الى زملائهم الذين كونوا قبلهم اتحادا ، ولما كان ثمت معنى لهذه التفرقة التى لن يكون لها اثر من نفع ان لم تنبت الفشل وتبذر الشقاق والخصام .

على أننا لم نكتب كلمتنا لنقف من الممثلين موقف الواعظ الناصح ، فليتدبروا شأنهم على النحو الذى يحلو لهم ، ولكن نريد أن نقول للجنة ، لجنة تشجيع التمثيل ، أن ليس فى تنحى مديرى الفرق ما يحد من جهودها أو يدفع بها الى الفشل مادام أن الممثلين قد تقدموا للعمل مجدين مخلصين ، وامامها السبيل واضحة إن أرادت أن تكون نواة صالحة للعمل المسرحى الحق ، وفى وسعها أن تشرف على العمل وتشترط له من الشروط والقيود ما يحقق رغباتها وينهض بمشروعها إلى الغاية التى تنشدها وننشدها جميعا . وهاهى فرصة سانحة تعرض لها فلعلها تنتهزها فى حزم وعزم ، ولعلها أخيراً لاتحجم عن العمل الجدى الصريح ، وثمت بارقة من أمل لعل فيها الخير ولعل فى ثناياها تحقيق أملنا الواسع فى اقالة عثرة المسرح .

محمد على حماد

فى الكتب

أبو على عامل أرتست

مجموعة اقاصيص مصرية

تأليف الأستاذ محمود تيمور

عرض ونقد وتحليل

لا يمكن لأى نقادة أن يتكلم عن أقاصيص تيمور ، أو أن يتعرض لدراستها دون أن يفكر فى الصفات الأساسية التى تقوم عليها ، أو التى أكسبتها هذا الطابع الخاص ، وهى : البساطة والصدق والانسجام . وبودى أن أتحدث أولا عن « طابع الصدق » فهى اظهر المميزات التى يتسم بها أدب تيمور ، وهى تكاد تكون سجية طبيعية عنده .

يرجع طابع الصدق فى أقاصيص محمود تيمور الى أنه يعيش فى عالم عواطفه فطرية ، فهى تملى عليه هذه الصور البسيطة التى يرسمها بريشته الصغيرة من غير أن تحجب عنا ظلال الألوان : « فام زيان ، هى المرأة التى تعمل أجيرة فى البيوت وفى الغيطان ، لا ترى على وجهها عبوسة اليأس ولا ثورة السخط ، فهى راضية عن حياتها ، قانعة بالقرب من حفيدها الصغير « الغالى » ، تنهك قواها نهاراً فى الخبازة ، وتسهر ليلا أمام مصباحها ، تخيط له الجلابيب والطواقى ، والصغير فى حجرها ، تهزه وتغنى له أغنيات المستقبل بصوت كله نواح وشجون ، معددة له صفاته حينما يصير رجلا ، له شارب غزير مفتول كشوارب الحكام ، وطربوش أحمر فاتح اللون كطرابيش الامراء ، وحذاء ذو صرير عال كأحذية الجنود . و « الشيخ جمعه » ، هو الرجل الغامض الفيلسوف السعيد بايمانه ، المنعم بخيالاته يروى لك فى بساطة فطرية ، قصة سيدنا سليمان وماجرى له مع النسر الهرم الذى عاش الف الف عام ، وحكاية السيد البدوى الذى حارب الجيوش قبل ان يولد ، وخرافة مدينة النحاس والسندباد وطير الرخ وغيرها . و « عم متولى » ، هو بائع الفول السودانى الذى مايكاد يؤوب من جولاته العديدة بين شوارع الحلمية وحارة نور الظلام ، وتؤويه ليلا حجرته الضيقة القذرة حتى يخرج من

صندوقه سيفا قديما ، هو الأثر الباقى من أيام عزه الاولى ، يضعه على ركبتيه ثم يسبح فى تأملاته اللانهائية ، حتى اذا امامرت بخاطره ذكرى العهود الخوالى ، حين كان يحارب فى صفوف « المهدى » فى السودان ، اخرج السيف من غمده فاذ بالسلاح قد علاه الصدأ وبعد ان يهزه فى يده مرارا كأنما هو يحارب عدوا فى الهواء ، يصيح صيحات خافتات ، مناديا الجيش ليتقدم الى الامام ، ثم يصحو بعد برهة من خيالاته ، فاذا الميدان حجرته المظلمة المقفرة ذات المصباح الزيتى الباهت النور ، واذا الجيش أوهام فى أوهام واذا جلبة المهزومين وصياح المنتصرين سكون فى سكون ! و« صابحة » هى تلك الريفية الساذجة التى تعمل فى منزل حسن أغا حيث التقت هناك بخادمه عبد السميع فتعارفا وتحابا وأظهرا رغبتهما فى الزواج ، ولكن لما ذهب إلى أهلها ليخطبها لقى منهم كل صد واعراض لأنه فقير ، فلما أتاها بعد شهور بالمهر سألته فى ريبة من أين له هـذا المال ؟ حتى اذا ما أيقنت انه اختلسه من أموال سيده احتقرته وأشاحت بوجهها عنه ، وضحت بغرامها فى سبيل الوفاء لمخدومها ولم ترض أن تقبل مهرها نقوداً مسروقة ، لان الله لن يبارك فى مثل هذا الزواج !

أليست كل هذه الشخصيات تبدو أمامنا ساذجة فى تصوراتها وفى نواحى تفكيرها ؟ كما أنها تدلنا تماما على البيئة الفطرية التى يشهدها تيمور ويخالطها لينقل صورها الينا ، فهى كما يقول عنها العلامة الانجليزى كرنكو : كالتصوير الفنى ، تصور حقيقة الحياة كما هى

وقد يرجع طابع الصدق أيضا فى أدب تيمور ، الى أنه تعود استعمال الالوان الطبيعية فى لوحته . فلذا تلمح أن فنه خال من سيطرة الافكار الغريبة غير المألوفة ، فهو لا ينقب مثلا عن الفساد الجنسى الذى أصبح الادب القصصى الحديث يعج به ، ليقدمه الى القارىء كيما يثير ميوله فيفوز برضائه واعجابه ! كلا ! فان السجية الطبيعية التى اتصف بها ، تكاد ترشدنا الى أنه فنان بطبعه . لا آلة صماء . يصور أمامنا كل ما يحس به وما يراه حوله ، ونحن حين نقرأ وصفه لأحدى شخصيات أقاصيصه ، نراها ظاهرة فى وضوح وجلاء ، ونكاد نحس بان الحياة تدب فى هذا الوصف دبيب الكهرباء ، فهو كما يقول عنه الدكتور ويدمار ، المستشرق السويسرى : يتغلغل فى أعماق نفس الموصوف : لكى يبرز عقليته الحقيقية

يدين محمود تيمور بالمذهب الواقعى ، ولكنه كثيرا ما يحيد عنه ويخرج عن قواعده المرسومة ، وحجته فى هذا ، هى ان الفنان يجب الا يقيد نفسه بمذهب واحد لا يخرج عن دائرته ففى ذلك تعجيز له ، اذ انه يجب أن يكون مطلق الحرية فى التعبير عن أحساسه ، وما المذاهب الا قوانين وحدود وضعت للدراسات الادبية ، ولكنها لم توضع للكاتب ، لانه فنان بطبعه ، يكتب باحساسه ووجدانه وبصيرته ، وهذه لا تعرف شيئا اسمه المذاهب .

وفى الواقع نجد ان المذهب الواقعى الاصيل ، مذهب جامد جدا ، وقد لطفه وغيره الكتاب الواقعيون بعد زولا ، اذ انهم لم يستطيعوا ان يسيروا على مقتضاه ، وقد رأينا زولا نفسه ، بالرغم منه ، يخرج عليه بدون أن يشعر ، فزولا كاتب عبقرى ، كان يكتب مدفوعا بوحى والهام ، وقد عارض نفسه وكذبها كثيرا فى مؤلفاته .

ولذلك لا نصف فن تيمور « بالواقعية » ، وإنما نُصفه « بالصراحة » ، وأهم مميزات الصراحة ، حصر الذهن فى الموضوع والتخلص من الشعور الرقيق المصطنع ومن الخيال المترامى الاطراف ، فهو قبل أن يكتب ينظر اولا الى الاشياء نظرة ثاقبة ، يحاول أن يصفها كما هى دون اسراف فى العواطف أو تعمق فى الخيال ، أو التجاء الى الغموض ، وبدون أن يسمح لشخصيته أن تحول بينه وبين موضوعه ، فأقاصيصه هى هى تلك الطبيعة المصرية البسيطة ، التى جلبت على الخير والقناعة والايمان بقضاء الله ، وفنه عبارة عن مرآة تنعكس عليها الحياة المصرية كما هى ، دون زخرفة أو تجميل ، ولا عدسات تواجه هذه الحياة فتظهرها على غير حقيقتها .

وقد ينظر بعض النقدة الى أن العواطف الفطرية والبساطة الادبية التى تتسم بها أقاصيص تيمور ، لا تتفق والاجادة الفنية أو النزعة الانسانية التى هى إحدى دعامات الادب الحديث ، على ان بساطة تيمور هى السر فى قوتها وتأثيرها ، فهى تتمشى مع الفن جنبا الى جنب ، وقد يكون هـذا من الغرابة بمكان ، فانك فى « العودة » ، وهى أولى أقصوصات الكتاب ، تلمح أثر هذا الروح

للكلام بقية

محمد أمين حسونة